القضايا الاجتماعية في شعر جرير

Al Qazaya Al Ijtemaiyyah fi sher-i- Jarir

(Social Issues in the Poetry of Jarir)

بحث جامعي لنيل شهادة ما قبل الدكتوراه

إعداد وتقديم

صفوة الله

تحت إشراف

الدكتور محمد قطب الدين

مركز الدراسات العربية والإفريقية
مدرسة دراسات اللغة والأدب والثقافة
جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي
110067

مركز الدراسات العربية والإفريقية
Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi - 110067
जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली-110067
Gram: JAYENU Tel : 26704253 Fax : 91-11-2671 7525

25 July 2016

DECLARATION

I declare that the dissertation entitled **"SOCIAL ISSUES IN THE POETRY OF JARIR"** submitted by me is in the partial fulfillment of the requirement of the award of the degree of Master of Philosophy of the University. This dissertation is my original research work and has not been submitted for any other degree of this University or of any other university/ institution.

Sifwatullah

Sifwatullah

(Research Scholar)

CERTIFICATE

We recommend that this dissertation be placed before the examiners for valuation.

Dr. Md. Qutbuddin

(Supervisor)

CAAS/ SLL&CS/ JNU

Centre of Arabic & African Studies
SLL & CS
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067

25/7/2016

Prof. Rizwanur Rahman

(Chairperson)

CAAS/ SLL&CS/ JNU

Chairperson
Centre of Arabic and African Studies
SLL&CS, Annex Building
Jawaharlal Nehru University
New Delhi -110067

القضايا الاجتماعية في شعر جرير

المقدمة

التعريف بالموضوع:

إن الشعر له أهمية كبرى في كل عصرومصر لأنه هو حياة مجتمع ومرآته و كان الشعر قد بلغ مبلغه عند العرب الأوليين و لكن الإسلام بعد أن جاء غير مجراه وقضى على الفنون التي ما كانت اللائقة بمن أدبهم الإسلام فأحسن تأديبهم لأن الشعراء الإسلاميين يقرضون من الشعر ما يوافق الشريعة الإسلامية.

لكن الحال قد تغير في عصر بني أمية و جعل الخلفاء يضعون مصالحهم الشخصية دائما نصب أعينهم فإن أقرها الدين فبها و إن عارضها ضربوا به عرض الحائط و عادوا يستعملون الشعراء لتأييد نظريتهم و عادت العصبية التي نهى الإسلام عنها و صار المربد بالبصرة مكانا للقول الهائج و كان الفرزدق والأخطل و جرير من أساطين هذا الفن فاستمر بينهم الهجاء طول حياتهم و نال كل من عرض أخيه ما نال، واختلف النقاد فيما بعد وذهبوا مذاهب في تفضيل من يعجبهم،

"وللناس فيما يعشقون مذاهب"

حياة جرير:

أبو حرزة جرير بن عطية بن الخطفي (33هـ - 110هـ الموافق 653م -728م) كان من بني كليب، يكنى جرير بأبي حرزة و حرزة ابنه الأكبر، أما والده عطية فكان رجلا دميما رث الهيئة يعرف منه البخل، أما أمه فسمي أم قيس وهي حقة بنت معيد بن عمر بن معوذ بن حارثة بن عوف بن كليب بن يربوع فهي من نفس عشيرته، كان لجرير أخوان عمر وأبو الورد رثاهما ببيتين رقيقتين

خليلى كم من زفرة رددتُها ومن ظلمة وارثْ على ضحى حجرا

إذا ما دعا قوم عليّ أخاهم دعوت فلم أُسمِع حكيما ولاعمرا

وكان جريركثيرا العيال فله تسعة ذكور وكان حرزة أكبرهم وكان منهم سواد الذي توفي بالشام فرثاه بقصيدة رائعة مطلعها:

قالوا نصيبك من أجر فقلت لها من للعرين إذا فارقت أشبالي

لايمكن لنا بت الحكم عن تاريخ مولده وسنة وفاته إلا أنه متفق عليه أنه مات بعد الفرزدق بستة أشهر.

كان لايشرب الخمر ولايشهد مجالس القيان ويتظاهر بالدين والتعصب للإسلام وكثيرا ما عير الأخطل بدينه والفرزدق برقة دينه، ولكنه رغم تقواه وعفته بالغ في العداوة والانتقام حد الإسراف، وخلاصة القول أنه كان مع ذلك كله دينا، كثير الصلاة والدعاء، عفيفا لم يستطع خصومه على كثرتهم أن يصيبوا منه معرة وكان يكثر الاستغفار من قذف المحصنات و يقر أمام الناس ببرائتهن ويعتذر من قذفهن بأن أوليائهن ظلموا فجازاهم بما ظلموا.

لاينطتح فيه عنزان أن جريرا فاق أقرانه و أسهم بأكبر نصيب من بينهم لأنه طرق كل باب من أبواب الشعر وضرب بسهم بعيد المرمى في الهجاء و الرثاء والغزل و لذلك يقول الدكتور عمر فروخ " والإجماع واقع على أن جريرا قد فاق أقرانه في الغزل و الرثاء و الهجاء" و لاغرو أن جريرا كان من عيون الشعراء، قال محمد بن عبد السلام الجمحي: رأيت أعرابيا من بني أسد أعجبني ظرفه وروايته فقلت له: أيهما أفضل عندكم شعرا؟ قال بيوت الشعر أربع وفي كلها غلب جرير.

قال في الفخر!

إذا غضبت عليك بنوتميم حسبت الناس كلهم غضابا

وقال في المديح!

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

وقال في الهجاء!

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وقال في النسيب!

إن العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

وكذلك نرى أنه ضرب بسهم بعيد المرمى في معظم المجالات الشعرية فعندما نقوم بدراسة شعره من الناحية السياسية فنجد أنه كان في أول الأمر مع ابن الزبير ولكنه لم يكن عريقا في زبيريته وبعد أن تم القضاء على ابن الزبير خلص للأمويين فمدحهم ومدح ولاتهم وأشاد بسياستهم وأوصل الخلافة بالدين وأن الدين لايقوم بغير الخلافة وحث العلماء بإطار من التقوى والعمل الصالح وقرر أنهم على الحق.

أما من الناحية الدينية فيقول الدكتور جميل سلطان:

"نشهد عند جرير أثرا إسلاميا عميقا يتناول الصور والمفردات ومن الواقع أنه كان يكثر هذا الأثر ويتعدد في شعره وهو من عرفت عفة ذيله وطهارة نفسه ".

أما ميزته التي فاق بها بين أقرانه و معاصريه فهي أثر إسلامي تجده مطروحا ومتناثرا في شعره، هذه هي الميزة التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع عنوانا لرسالتي لنيل شهادة الاختصاص.

والسبب في اختيار هذا الموضوع يرجع إلى رغبتي لقراءة دواوين الشعراء العرب وعندما قرأنا دواوين الشعراء الأمويين وجدت أن جريرا كان عفيفا متدينا يتظاهر بالدين والتعصب للإسلام فكثيرا ما عير الأخطل بدينه والفرزدق برقة دينه وكذلك استعمل كثيرا من الألفاظ القرآنية والدينية في مدحه للخلفاء الأمويين و أمرائهم كذلك ذكر الشاعر كثيرا من أيام العرب في أشعاره وتناول من وصف الطبيعة والصحراء والإبل والحصان وغيرذلك وصفا دقيقا، وإن كثيرا من النقاد والأدباء يرون أن أجود بيت في الرثاء قوله!

لولا الحياء لعادني استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار

وأصدق بيت قوله!

إني لأرجومنك خيرا عاجلا والنفس مولعة بحب العاجل

وأشد بيت تهكما قوله!

زعم الفرزدق أن سيقتل مِربعا أبشر بطول سلامة يا مربع

وأحسن بيت تشبيها قوله!

سرى نحوهم ليل كأن نجومه قناديل فيهن الذبال المفتل

أو قوله في وصف خيل!

وطوى الطراد بطونهن كأنها طي التجار بحضر موت برودا

وعلى الرغم من تواجد الكتب المختلفة والدراسات العديدة حول هذا الموضوع إلا أننا لا نجد أحدا قام بتقديم المقال أو إجراء البحث حول القضايا الاجتماعية في شعره في

أي جامعة من الجامعات الهندية. فعدم وجود دراسة سابقة في ظني هو من أبرز العوامل التي دفعتني إلى أن أتخذه موضوعا لأطروحتي فى رسالة ما قبل الدكتوراه حتى أقدم بحثا قيما حسب مستطاعي حول القضايا الاجتماعية في شعر جرير.

ننتهج في هذا البحث منهج الدراسة الانتقائية لدواوين الشعراء كما يكون البحث بحثا موضوعيا ومركزا. نتحدث فيه عن القضايا الاجتماعية والدينية من خلال شعرجرير وكذلك نتحدث عن مناقضاته بين شعراء ذلك العصر لكي نصور مجتمع ذلك العصر تصويرا دقيقا ، وكذلك نناقش أشعاره من الناحية السياسية ونبرز موقفه السياسي من بين الشعراء الآخرين في ذلك العصر.

وقد قمت بتربيب هذه الرسالة في ثلاثة أبواب، فالباب الأول قد يتناول عصر بني أمية وحياة جرير وأقوال الشعراء والأدباء فيه، وهو ينقسم إلى فصول، الفصل الأول في الحياة العامة للمسلمين في عصر بني أمية و تدفق الأموال على المسلمين والإهمال بالشريعة الإسلامية وعودة العصبية التي نهى الإسلام عنها، أما الفصل الثاني فقد عرفنا فيه عن حياة الشاعر كذلك عرفنا الخلفاء و الولادة الذين اتصل بهم جرير، أما الفصل الثالث فقد ذكرنا فيه أقوال الشعراء والأدباء عن جرير.

أما الباب الثاني فهو في شعر جرير والفصل الأول منه خاصة على شعر النقائض وموضوعاته عند جرير والفصل الثاني مشتمل على مناقضات شعرية بينه وبين الفرزدق والأخطل ، أما الفصل الثالث فيشمل على الدراسة الفنية لشعر جرير.

أما الباب الثالث فهو خاص بالقضايا الاجتماعية ومحيط بدراسة القضايا من الناحية السياسية و الدينية والأدبية.

وفي نهاية المطاف أرى من الواجب أن أقدم كلمات الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنى في إتمام هذا البحث من الأساتذة، وخاصة مشرفي العطوف وأستاذي الكريم الدكتور محمد قطب الدين أطال الله عمره الذي لم يدخر وسعا في إعانتي كلما احتجت إليه، و أرشدني بتوجيهاته القيمة و أكرمني بمشوراته الثمينة حينا لآخر في إكمال هذا البحث، كذلك من واجبي أن أشكر أخي الصغير ظل الله وماما العزيزة ومريم البتول الذين ساعدوني في كتابة المقال وأنا أيضا مشكور لمكتبة دارالعلوم لندوة العلماء التي استفدت منها كثيرا لإكمال هذا البحث.

وندعو الله أن يقبل هذه الجهود المتواضعة في سبيل خدمة اللغة العربية وأن يجعلها مفيدة للدراسة والمطالعة. (وبالله التوفيق)

الباب الأول

جرير: عصره وحياته

الفصل الأول

نظرة عابرة على العصر الأموي

الفصل الثاني

مولده ونشأته

الفصل الثالث

أقوال الشعراء والأدباء فيه

نظرة على العصر الأموي

لايخفى على كل من له أدنى إلمام بالأدب العربي أن العصر الأموي يستغرق على اثنتين وتسعين سنة، من العام الواحد والأربعين المعروف بعام الجماعة، إلى قيام الدولة العباسية سنة اثنتين وثلاثين بعد المئة من الهجرة ومن سنة 661 إلى 749 من الميلاد وهذا أمر لا يجحد أن الدولة الأموية قامت في سنة 41 هـ - 661 م بعد أن اضطر الحسن بن علي رضي الله عنه إلى التنازل عن حقه في الخلافة ليكون المسلمون في مأمن من الفتنة ولأنه أيقن أن لا طاقة له بمعاوية وجنده فصالحه على أن يكون المسلمون بعد وفاة معاوية أحرارا يولون عليهم من يشاءون. تنسب هذه الدولة إلى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وهوعظيم من عظماء قريش في الجاهلية وكان معاوية بن أبي سفيان أول ملوك الدولة (41هـ - 60 هـ / 660م – 680م) وآخرهم مروان بن محمد (127هـ- 132 هـ / 744م – 750م) والخلفاء الذين حكموا في هذه الدولة هم أربعة عشر.

هذا واقع ملموس أن الحياة العربية والمجتمع العربي في العصر الأموي كانت مرآة للعصر القديم لأن أوضاع الحياة لم تتغير كثيرا عما كانت عليه في الجاهلية، وكان الناس يهتمون برعي الأنعام و كانوا ينتقلون من مكان لآخر بحثا عن الماء والعشب وكانوا يتخاصمون في هذا السبيل ويتفاخرون به كما كانوا يتخاصمون في العهد الجاهلي وتدوم الحرب حتى أربعين سنة و لم يستطع حكام المسلمين تغيير هذا النظام كثيرا مع استقرار الدولة. وكما نرى من أسباب هذا الفشل هو ضعف سلطان الدين وعودة الروح الجاهلية وقلة اعتماد الخلفاء على الدين بل كان مصالحهم الشخصية دائما نصب أعينهم وكانوا يستعملون بيت مال المسلمين لجلب منفعتهم الخاصة ويغدقون هذه الأموال على الشعراء و المغنين، و سأذكر فيما يلي بعض الأحداث المهمة التي وقعت في ذلك العصر والتي لها علاقة وطيدة في قيام الدولة الأموية.

عام الجماعة:

انصرفت الجيوش بعد واقعة صفين، وذهب معاوية مع أنصاره إلى الشام وكان بينهم وئام وموافقة، أما علي رضي الله عنه واتباعه فلجأوا إلى العراق وكان بينهم خصومة و كانوا منقسمين حتى دخل فريق منهم مع علي رضي الله عنه الكوفة وهم

الشيعة و الآخرون بقوا خارجا في قرية (حروراء) وهم الخوارج. وهكذا اتسعت دائرة الخلاف و المشاجرة من بين المسلمين و اتسعت الفرقة بينهم وسبب هذا إلى قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبويع على يد ابنه الحسن بعده ولكن سرعان تفرق الناس عنه فلم يجد بدا من النزول عنها مخافة سيل دم المسلمين ورضي بالصلح مع معاوية، ثم قام الحسن بن علي في العراق فقال: "يا أهل العراق إنه سخي بنفسي عنكم ثلاث: قتل أبي، وطعنكم إياي، وانتهابكم متاعي".[1] ثم دخل المعاوية في الكوفة وبايعه الحسن فبايعه الناس، فمع نزول الحسن عن الخلافة سنة إحدى وأربعين هجرية أصبح معاوية خليفة للمسلمين و اجتمع شمل المسلمين، وكان هذا هو عام الجماعة الأول.

الأحداث بعد عام الجماعة:

أصبح أبناء بني أمية مولعا بالخلافة و نمت العصبية بين القبائل العربية وكذلك بين العرب وأهل الذمة وانتشرت رويدا رويدا حتى لم يلبث ان انتشرت فيهم وانقسموا إلى بيتين: هما البيت السفياني والبيت المرواني.

البيت السفياني:

كان معاوية بن أبي سفيان ذو بصيرة تامة وخبرة واسعة في السياسة ولذلك استطاع بحسن تدبيره وحزمه أن يجمع شمل المسلمين وأن يرسخ قواعد ملكه وحاول لإقناع الناس للبيعة على يد ابنه يزيد وكرس الجهود في هذا السبيل فخلف يزيد أباه وبايعه الناس باستثناء بعض أصحاب المدينة كان منهم الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، وابن عباس، و بايع ابن عمر وابن عباس وأبى الحسين وابن الزبير بعد أن حاول يزيد للمبايعة ممن امتنعوا عن مبايعته.

لما علم أهل الكوفة أن الخلافة قد انتقلت من معاوية إلى ابنه يزيد فكتبوا إلى الحسين ويستطلبوا لمبايعته فأشارعليه أصدقاؤه أن يرفض هذا الطلب بسبب تردد الناس وعدم ثباتهم ولكن ابن الزبير شجعه على قبوله فقبله وخرج مع أهله وأولاده و شرذمة من أنصاره المشتملة على الثمانين رجلا، وفي الطريع التقى بالفرزدق فسأله عن الناس فقال" القلوب معك، والسيوف عليك، والنصر في السماء [2] "وفي الطريق لما أتى إليه خبر قتل بعض أصحابه وكان فيهم ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب، فطلب منه المخلصون للعودة و الاستقرار بمكة وهوأيضا همّ بالرجوع ولكن أخوة مسلم أصروا على أخذ الثأرفقدموا إلى الكوفة وحدثت معركة وانتهت بقتل الحسين ومن معه في 10 من المحرم

[1]. تاريخ الطبري، ج 6، رقم الصفحة 92
[2]. البيان والتبيين، جاحظ، رقم الصفحة 154

سنة 61 هـ الموافق 16 من أكتوبر سنة 680 م، وبعد استشهاد الحسين بن علي تخلص يزيد من منافس قوي ولكن أثار هذا القتل ضج عنيف في المجتمع العربي ذلك الوقت وتفاقم الوضع حتى قامت الثورات العنيفة التي شغلت يزيد وعماله حتى توفي في الأربعين من عمره. وكان ابنه معاوية الثاني صبيا ذلك الوقت وكان متأثرا بمأساة كربلاء محبا لبنى هاشم فترك الأمر شورى بين الناس وقال أنتم أولى بأمركم، فاختاروا من أحببتم وبعد صعد المنبر وقال: "أيها الناس إن جدي معاوية نازع الأمر أهله، ومن هو أحق به منه لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو علي بن أبي طالب وركب بكم ما تعلمون حتى أتته منيته، فصار في قبره رهينا بذنوبه، وأسيرا بجرمه[3]" ثم بكى حتى ابتلت لحيته ورجع بعده إلى منزله وتغيب حتى مات في نفس السنة بعد أيام وهكذا أنتهى خلافة البيت السفياني بحياته القصيرة الخلافية و نتيجة لذلك قوي حزب ابن الزبير و أتى تحت مظلته جميع أهل الحجاز والعراق وخراسان وفارس ومصر، وأكثر أهل الشام وبعد أن كرس ابن الزبير جهودا متواصلة انتهى النزاع بين اليمنية من كلب، والمضرية من قيس، وسبب هذا الجهود إلى اتفاق الأمويين في مؤتمرهم بالجابية على مبايعة مروان بالخلافة، وهكذا انتقلت الخلافة إلى البيت المروانى.

البيت المروانى:

طلب مروان من القبائل اليمنية أن يساعده في إخضاع القبائل القيسية التى اجتمعت بمرج راهط، وكان هناك صراع سياسي مستمر واشتعلت نار العصبية بين اليمنية والقيسية وكان هناك هجاء قبيلة ومدح أخرى من بين الشعراء و هذه العصبية أعانت الشعراء على هجاء قيس وشاعرها جرير.

قال الأخطل يهجو قيسا:

ضجوا من الحرب إذ عضت غواربهم وقيس عيلان من أخلاقها الضجر

فقال جرير يهجو الأخطل و يذود عن قيس:

قيس وخِندِف أهل المجد قبلكم لستم إليهم ولا أنتم لهم خطر

توفي مروان بعد أن عهد في الخلافة لإبنيه عبد الملك ثم عبد العزير، وهكذا انه بدأ طريقة جديدة وهي النظام الثنائي في ولاية العهد، ونقض قرار مؤتمر الجابية وكان من المفروض حسب هذا المؤتمر أن تكون الخلافة بعده لخالد بن يزيد بن معاوية ثم لسعيد بن العاص.

[3]. البيان والتبيين للجاحظ، ج 2، رقم الصفحة 154

كادت تنهار الخلافة بعد وفاته لولا أن قدر الله ابنه عبد الملك الذي يعد المؤسس الثاني للدولة الأموية، إنه دبر أمور الخلافة فأحسن تدبيرها وأقام مبنى الخلافة على دعائم وطيدة وحسن اختياره في انتخاب الولاة و القواد اللذين الجموا اللجام على الخارجين وشدوا ذمامهم وقضوا على العابثين والفسدة حتى ساد السلام و ازدهرت الحضارة.

ومن المعروف أن في عهده قام قائده حجاج بن يوسف بالقضاء على ابن الزبير وغلب على الحجاز عام 73هـ /692 م المعروف بعام الجماعة الثاني. كما تمكنت الخلافة من القضاء على الخوارج وبسبب سياسة القمع والجبروت سكنت الأحزاب السياسية والفرق المذهبية إلى وقت طويل. وشهد العالم أن الدولة الأموية بلغت أوجها واتسعت دائرتها في عهد الوليد بن عبد الملك، وعاش الناس عيشة الرخاء و اليسر و الأمن والسلام و شهد المجتمع العربي التقدم و الإزدهار و هذا معروف لدى كل من له إلمام بتاريخ الدولة الأموية أن الفضل يرجع إلى الحجاج بن يوسف في اتساع الدولة في عهد الوليد بن عبد الملك و في إخماد نار ثورة من الأحزاب السياسية و الفرق المذهبية الذي ساعد الوليد كما كان مساعدا ومناصرا لأبيه في الفتح و بناء قواعد متينة للملك. ولكن في آخر عهده نرى أنه أراد خلع أخيه سليمان من ولاية العهد لإبنه عبد العزيز، وساعده في ذلك حجاج و قتيبة بن مسلم و جرير، ولكنه مات قبل إبرام هذا ومن قبل مات الحجاج وتولى سليمان عرش الخلافة وكان قتيبة بن مسلم على جيوش خراسان، فهجم عليه وكيع بن أبي سود من بنى يربوع رهط جرير و قتله، ولهذا عفا سليمان عن جرير، وكما نجد أن جريرا افتخر بهذا الحادث و حط من شأن الفرزدق:

فغيرك أدى للخليفة عهده وغيرك جلّى عن وجوه الأهاتمِ

فإن وكيعا حين خارت مجاشع كفى شعب صدْع الفتنة المتفاقم

وبعد سليمان تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز وبعده يزيد بن عبد الملك وبعده أخوه هشام وتعاقبه الوليد بن يزيد وكان بنيان الخلافة غير مستقيم حتى نرى أن أنصار العباسين من بنى هاشم جعلوا يرسخون سلطتهم وقوتهم حتى انتزعوا الخلافة من آخر خلفاء الأمويين مروان بن محمد واندلع سيل الأحزاب السياسية والفرق المذهبية من جديد.

و الآن أرى من المناسب أن ألقي نظرة عابرة على الأحزاب السياسية والفرق المذهبية لكي يتجلى الأمر و نرى الوضع من قرب.

هذا واقع ملموس أن الخلاف على الخلافة شتت شمل الدولة الإسلامية و مزق جمع المسلمين فتفرقوا في جماعات شتى من الأمويين، وشيعيين وزبيريين، وخوارج، و مرجئة، وسنيين، ومعتزلة.

أما الحزب الأموي فكانوا مثل الأحزاب الحاكمة، كان لهم أثر ونفوذ على الجماهيروكان لهم كثرة المؤيدين من الخطباء والشعراء الذين كانوا يمدحونهم و ينافحون عنهم ويخرسون ألسنة المعارضين من الشيعة والخوارج والزبيريين وكانوا يعتقدون أن خلفاء الأمويين هم خلفاء الله في الأرض و إطاعتهم ونصرتهم واجب على الناس. ومن شعراء الأمويين كان أبو العباس الأعمى بمكة، و الأحوص بالمدينة، وجرير والأخطل والفرزدق بالعراق، وعدي بن الرقاع العاملي بالشام، نرى أن جريرا يقرض شعرا وهو يؤيد الوليد بن عبد الملك فيجعل الخلافة سربالا يلبسه الله من يشاء وأن الأمويين أفضل الناس وأن لهم أصلا عريقا لا يماثله أصل أناس آخرين.

يكفي الخليفة أن الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم
من يعطه الله منكم يُعطَ نافلة ويُحرم اليوم منكم فهو محروم
يا آل مروان! إن الله فضلكم فضلا قديما وفي المَسعاة تقديم
قوم أبوهم أبو العاص وأورثهم جرثومة لاتساميها الجراثيم
قد فات بالغاية العليا، فأحرزها سام خروج إذا اصطك الأضاميم[4]

وقال يمدح أيوب بن سليمان بن عبد الملك :

إن الامام الذي ترجى نوافله بعد الإمام ولي العهد أيوب
أنت الخليفة للرحمن يعرفه أهل الزبور وفي التوراة مكتوب

ويقول جرير في قصيدة أخرى أن الخليفة إمام عادل ولايقوم الجهاد والدين إلا بأمير المؤمنين الإمام العادل وبسيف الحجاج،

لولا أمير المؤمنين وإنه إمام وعدل للبرية فاصل
وبسط يد الحجاج بالسيف لم يكن سبيل جهاد واستبيح الحلائل
خليفة عدل ثبت الله ملكه على راسيات لم تزلها الزلازل

[4]. شرح ديوان جرير. ص 549

لقد جرد الحجاج للحق سيفه لكم فاستقيموا لايميلن مائل

وأصبح كالبازي يقلب طرفه على مربإ والطير منه دواخل

الحزب الشيعي:

هولاء الناس هم مؤيدو علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويعتقدون أن له أحقية بالخلافة دون غيره من الصحابة و بعد وفاة علي بن أبي طالب أيدوا أبناءه وجاءوا بالأدلة و الأسانيد بتأييد نظريتهم ولتبرير دعواهم ومن الجدير بالذكرأن بعضعهم أسرفوا في الانتصار لعلي حتى اعتقدوا فيه بعض صفات التقديس، وكان من هؤلاء المؤيدين "الزيدية أتباع زيد بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ومنهم الإمامية الإثنا عشرية، ومنهم الإمامية السبعية المعروفة بالإسماعيلية التي يتزعمها أغا خان في عصرنا الحاضر.[5]

حزب الخوارج:

الخوارج هم اللذين نقضوا عهد المبايعة على إمامهم بعد قبوله التحكيم و برروا فعلهم بقول أن الخلافة حق لكل مسلم سواء هو حر أو عبد حبشي ووفقا لنظريتهم يصح عزل الخليفة أو قتله إذا ظلم أو أساء في استعمال سلطته وهولاء اللذين معرفون بالتعصب لمبادئهم والتحمس لها، ومن الجدير بالذكر أن هناك فرق من بين الخوارج ومن فرقهم: الأزارقة: وهم متبعو نافع بن الأزرق، والإباضية: وهم أتباع عبد الله ابن إباض التميمي، والصفرية: وهم منسوبون إلى زياد بن الأصفر.

الحزب الزبيري:

وهم أنصار عبد الله بن الزبير بالحجاز وهم يعتقدون أن عبد الله بن الزبير هو أحق بالخلافة بعد أن حدث حادثة قتل الحسين بن علي، ووفقا لرأيهم ينبغي أن تعود الخلافة إلى الحجاز ويتولى زمامها أحد من أبناء الصحابة الأولين.

"وأشهر شعراء الزبيريين ابن قيس الرقيات شاعر مصعب بن الزبير بالعراق، وله فيه وفي زوجتيه: سكينة بنت الحسين، وعائشة بنت طلحة، مدائح جليلة، وفي شعره ثورة على عبد الملك وأهل الشام، ومنه:

كيف نومي على الفراش ولما تشمل الشام غارة شعواء

[5]. جرير لمحد أبراهيم جمعة. ص 15

تذهل الشيخ عن بنيه وتبدى عن براها العقيلة العذراء [6]

فرقة المرجئة:

كذلك يوجد عندهم فرقة المرجئة التي ظهرت في بداية العصرالأموي ولهم دور بارز على مسرح الأحداث السياسية وهم اللذين اعتدلوا في الأمور واتخذوا جانب الاحتياط في تأييد كلي الفريقين، و كانوا النائين عن الفتن التي أثارها الشيعيون والخوارج وغيرهم، وسموا بالمرجئة لأنهم أرجئوا وأخروا الحكم إلى يوم القيامة على اختلاف الخلافة وعلى أشياع علي وأتباع الخوارج.

المعتزلة:

أما المعتزلة فهم الذين التجئوا إلى تحكيم العقل في المشاجرة بين المسلمين من خلاف حول الخلافة وسموا بالمعتزلة بعد أن خالف إمامهم وزعيمهم واصل بن عطاء أستاذه الحسن البصري في مسائل تداولها الخوارج والمرجئة حول معرفة المصيب والمخطئ في الفتنة التى أدت إلى مقتل عثمان.

أهل السنة والجماعة:

أما أهل السنة والجماعة فهم معظم المسلمين الذين رضوا على الخلفاء الأربعة و واعتصموا بحبل القران وسنة النبي صلي الله عليه وسلم.

الحياة العامة في عصر جرير:

بعد دراسة العصر الأموي يظهر لنا أن عصر جرير هو عصر الأحداث السياسية والتغيرات في الحياة العامة و من الممكن أن نقسم هذا العصر إلى ثلاثة أقسام،

فالقسم الأول لهذا المجتمع يشتمل على طبقة المترفين بمكة والمدينة والشام، وهذه الطبقة تشمل قريش ، والخليفة وأهل بيته وولاة الأقاليم ونالوا هذه الطبقة المال و الثروة من الفتوحات، يقول محمد ابراهيم جمعة وحقا إنه صور أحسن تصوير الترف والبذخ في ذلك المجتمع في العبارات الآتية فيقول "ويتبع هذه الطبقة المترفة حاشية من الأصدقاء، والجند، والحراس، والموالي، والخدم، والجواري، وكان الخدم أرقاء مجلوبين من الشعوب غير الإسلامية شراء أو أسرا، وأغلب الرقيق الأبيض من اليونان والصقالبة والأرمن والبربر، وبعضهم خصيان يقومون على خدمة سيدات القصور. أما الجواري

[6]. جرير لمحد أبراهيم جمعة. ص 16

فكن ذوات ثقافة وجمال، يحسن الغناء، ويجدن الرقص، ويتخذ الخلفاء والأمراء منهن السراري والمحظيات، وربما سيطر لبعضهن نفوذ على مواليهن. وبجانب هؤلاء نشأت في الحجاز مجالس الغناء التي انتقلت فيما بعد إلى قصور الخلفاء بالشام، وترنم الشعراء المترفون من فتيان مكة والمدينة بغزل صريح عابث، يطفئون به شهوة اللهو، ويصورون فيه قصة الحب، ورددده المغنون والمغنيات سهلا عذبا، مطربا أخاذا. ومن الغزليين اللاهين: عمروابن أبي ربيعة والأحوص، ومن المغنيات: حبابة، وسلامة القس، وعقيلة، والذلفاء. ومن المغنين: طويس، ومعبد، ومسجح، وابن سريج، والغريض.[7]

أما الطبقة الثانية فكانوا أساس المجتمع و كانوا يعيشون عيشة هنيئة وحياة كريمة وتشمل هذه الطبقة العلماء، والأدباء، والشعراء، وكان منهم بعض الأثرياء أيضا. من الجدير بالذكر أن رجال هذه الطبقة ما كانوا منعزلين عن مجرى الحياة العامة بل كانوا أصحاب الفن والتجارة والمهن في وقت الأمن و السلام و الهدوء والسكون أما وقت الحرب والقتال فيصبحون شجاعا كأنهم ولدوا للحرب و الفتح ويلعبون دورا بارزا في سبيل نصرة الدين.

أما الطبقة الثالثة فهي مشتملة على عامة العرب، ومعظم الأمة كانت في هذه الطبقة و هي تتضمن فلاحين و أهل الذمة وكانوا رعاة الغنم و يقع بينهم التنازع على الماء وكان بعض أنواع الشعر شائعة بينهم مثل الفخر والهجاء و كانوا يرتحلون من هنا إلى هنا بحثا عن الماء والمرعى.

وهذا من الممتع أن نبحث مستوى حياة أهل الذمة ونحدد مستوى معيشتهم من بين المسلمين لأنهم كانوا في الأقلية و الأعتناء بهم ومسئولية المحاولة لتحسين معيشتهم ترجع إلى المسلمين الذين كانوا في الأكثرية الكاسحة، صور الكاتب إبراهيم جمعة في كتابه "جرير" فأحسن تصوير حياة أهل الذمة حيث يقول"وبين هذه الطبقات الثلاث عاش أهل الذمة في مستوى اجتماعي أدنى من مستوى المسلمين، غيرأن التسامح الديني دفع المسلمين إلى معاملتهم معاملة حسنة، فتمتعوا بكامل الحرية في سائر سبل النشاط ما داموا يؤدون الجزية، وقد أثرى بعضهم ثراء عريضا عن طريق مواهبة المهنية والإدارية، فقد كان منهم حذاق الصناعة، وخبراء المال والإدارة، كما خدم بعضهم الدين والثقافة، ومنهم شعراء لزموا الخلفاء والأمراء وأجواد العرب يمدحونهم، وينالون من برهم".[8]

---

[7]. جرير لمحد أبراهيم جمعة. ص 18

[8]. جرير لمحد أبراهيم جمعة. ص 18

ولما ندرس العصر الأموي إذا لا بد أن نذكر العصبيات التي كانت نهضت و ترعرعت من جديد بعد أن قضى الإسلام عليها وكانت أشد القبائل عصبية هم تميم و قيس من مضر وبكر وعبد القيس من ربيعة، وكندة والأزد من اليمن. كانوا يتعصبون ضد المهاجرين لسبقهم إلى الإسلام، وكان مقتل عثمان رضي الله عنه سبب إلى تفريق بين المهاجرين والأنصار أو في معنى ذلك بين قريش واليمن إذ مال الأول إلى معاوية رضي الله عنه، والثاني إلى علي رضي الله عنه، يقول الدكتور ابراهيم جمعة "بعد مقتل عثمان أصبحت قريش في كفة و العرب كلها نزارية ويمنية في أخرى، وشرع معاوية يسترضى الفريقين، فانصرف أولا إلى تأليف اليمنيين، وكان قد بدأ شيئا من هذا مع الكلبيين بزواجه منهم (ميسون بنت بحدل) أم ابنه يزيد، وكان عثمان قد أصهر إليهم من قبل، فوقفت كلب ومن انضم إليها من سائر اليمنية وغيرهم ضد قيس والأنصار، وبذلك وبذلك صارت العرب كلبية وفيسية أو يمنية ومضرية، ثم سرت عدوى هذا الانقسام في جميع الأقاليم الإسلامية، وكان له في الشعر شئون.

وبعد موت معاوية الثاني بايعت قبيلة القيس بالشام ابن الزبير، وفي جانب آخر مال الكلبيين لخالد بن يزيد لأنهم أخوال أبيه، وانضم إليهم مروان بن الحكم ليستخلص الأمر لنفسه، وانتهت معركة مرج راهط بهزيمة القيسية، وانتصار اليمنية، واستئثار مروان بالخلافة، وثارت العصبية بين قيس وتغلب، وجرت تغلب على نصرانيتها، فعصمت نفسها بالوقوف مع الأمويين في الخلاف بين قيس وأمية، ونشبت معارك بين القيسيين والتغلبيين، كان لقيس منها أيام: ماكسين، والثرثار الثاني، وفدين، والسكير، والتبليص، والكحيل، والبشر، وكان لتغلب الثرثار الأول، والشرعبية والحشاك. وحين وقف الأخطل شاعر تغلب يعين الفرزدق على جرير انبرى له جرير شاعر قيس- وهو من تميم- يعدد مساوئ تغلب ومشاعرها، فيجيبه الأخطل بهجاء كليب بن يربوع وقيس، ثم ينتصر جرير لرهطه ولقيس على دارم رهط الفرزدق، وعلى تغلب ويتألف من هذا نقائض جرير والأخطل".[9]

ومن الجدير بالذكر أن عصبية تميم هي أشد العصبيات اضطرابا، فنرى بعض الأحيان عصبية بين تميم وقيس و بعض الأحيان نرى بين تميم و تغلب وتعددت فروع العصبية التميمية وتختلط العصبيات أصولا وفروعا، وكمان نرى عصبيات الجنس بين العرب والموالي وكان جريريخرج من تقاليد العرب فيمدحهم، إلا أنه أثار مرة وهو يهجو الأخطل بقوله:

لاتطلبن خؤولة في تغلب فالزنج أكرم منهم أخوالا

[9]. جرير لمحد أبراهيم جمعة. ص 20

التيارات الثقافية:

هذا واقع ملموس أن الإسلام أدى إلى تحول حياة الأمة العربية تحولا جذريا ونقلها من المشاجرة والحرب والقتال إلى طور التوحيد وجمعهم تحت شمل الإسلام و القرآن الكريم، وهذا أمر طبيعي أن يكون لهذا الحدث العظيم أثر كبير في الحياة الأدبية لهذه الأمة شعرا ونثرا و يصور هذا الأدب البيئة التي نشأ فيها ويخضع لمؤثراتها، ولذا نرى أن الظواهر الأدبية في صدر الإسلام هي مختلفة من الأدب في البيئة الجاهلية ونرى بصمات واضحة في مسيرة الأدب ومن أبرز آثاره عدم المبالاة على بعض الفنون الأدبية التي كانت مزدهرة في العصر الجاهلي وظهور فنون جديدة أو تطور فنون قديمة. فقد قضى الإسلام على سجع الكهان ونهى الخطباء عن محاكاة ذلك السجع في خطبهم، وظهر لون من الخطابة يستقي من ينابيع الإسلام. وأخذ الشعراء يجتنبون عن الأغراض التي كانت حياة العرب في الجاهلية تدعو إليها كالشعر القبلي القائم على العصبية القبلية. فقد ألغى الإسلام دواعي الشعر القبلي و وحد القبائل العربية في أمة واحدة، وجعل الشعراء يقرضون الأبيات في أغراض دعت إليها البيئة الإسلامية كشعر الجهاد والفتوح والشعر الديني، وأصبح شعرهم يدور حول معان تتصل بالقيم والمثل الإسلامية. وقد أوجد الإسلام مبادئ خلقية تلائم تعاليمه وروحه فانعكست هذه المبادئ في النتاج الأدبي.

ومن الجدير بالذكر أنه ما هو شائع أن الإسلام كان له موقفا مناهضا للشعر والشعراء هذا ليس بصحيح والذين يعابون أن شعر حسان بن ثابت رضي الله عنه انحط في الإسلام هم مخطئون في قولهم لأننا لما تدبرنا من الناحية التذوق الشعري وجدنا أن الموضوعات قد تغيرت ولكن ماهية الشعر وتأثيره لم يتغيرونرى في شعر حسان في الإسلام أن صلاحية اختيار الكلمات ووضعها في مكان ملائم تطورت وتحسنت فيه.

نرى من المناسب أن نلقى نظرة عابر على الأمور التى يرجع إليها الفضل فى إنماء الأدب فى ذلك العصر.

أصبحت الخلافة ملكا يتوارث فى هذا العصر و عادت العصبية التى نهى الإسلام عنها لأنها تسبب الى تكدير النفوس وشن الحروب و إراقة الدماء فاستحدثت أساليب المفاخرة المنافرة وكثر التهاجى بين الشعراء وقام ضرب من الهجاء يعرف بالنقائض.

وفى جانب آخر اشتد العصف السياسي فى هذا العصر اشتدادا قويا و اهتز بنيان حكم الأمويين حيث طغى أنصارعبدالله بن الزبير بالحجاز وشيعة الإمام علي بالعراق والخوارج فى الجزيرة و بلاد فارس و سببت هذه الطوائف الى تغذية حركة الشعر فظهرت طبقة من الشعراء السياسيين، ثم إن البلاد المفتوحة قد تدفقت على المسلمين

فسالت عليهم سيول الذهب و الفضة وضغث على إبالة أن الدولة الأموية رأت من باب السياسة أن تغدق على أهل الحجاز الأموال لكى يشتغلوا عن حقهم فى الخلافة فجعل أهل الحجاز يتفاخرون فى المبانى والملابس وقامت مجالس اللهو والطرب، من جراء ذلك ظهرت طبقة من الشعراء الحضريين فى طليعتهم عمر بن أبى ربيعة.

أما الخلفاء فإنهم اهتموا بالعلم والأدب وعقدوا المجالس لاستماع الشعراء، ونشأ فريق من العلماء يجمعون اللغة و يدونون مسائل العلم، وباتساع نواحي الدوله كثرت الرسائل التى يبعثها الخلفاء إلى العمال فى مختلف البلاد و بذلك كثرت دواعى الأدب النثر، مع ذلك كله لم يخرج الشعر فى صورته الأصلية من حيث أوزانه و قوافيه و طريقة قرضه عما كان عليه فى الجاهلية وصدر الإسلام كما ذكر فى كتاب "المفصل فى تاريخ الادب العربى"

"أما شعر هذا العصر فإنه يمثل الحياة الإسلامية الخاضعة لسلطان الإسلام والخالصة من شوائب الوثنية جملة بعد أن طرأ عليها طوارئ سياسية واجتماعية و مذهبية تنوعت بها بعض الشيئ عما كانت عليه فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم و خلفائه فتنوع لذلك الشعر فى بعض مواطنه فنا و أسلوبا غير أن الأراجيز عني بها فى عصر بنى أمية عناية جعلتها تقرب من القصائد فى أكثر خصائصها".[10]

الفنون الأدبية في صدر الإسلام:

كان الشعر له منزلة مرموقة ومكانة أولى في صدر الإسلام كما كان في العصر الجاهلي، وكما ذكرنا أعلاه أن الإسلام قضى على بعض أغراض الشعر الجاهلي وجاء بعض الأغراض الجديدة كشعر الجهاد والفتوح والزهد والوعظ والشعر السياسي.

وإلى جانب آخر أخذت الخطابة تنمو لحاجة المسلمين إليها في صدر الإسلام، وبدأت تزدهر وتتطور بشتى أنواعها، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يخطب في المسلمين موضحا لهم شؤون عقيدتهم. وجاء الخلفاء الراشدون بعده فساروا على نهجه، وكانوا يعظون المسلمين في خطبهم ويحضونهم على مكارم الأخلاق. وقد احتلت الخطابة الدينية المنابر وحلقات المساجد منذ ذلك العصر، وكثر الوعاظ والقصاص.

وفي الوقت عينه ظهرت الخطابة السياسية التي تدور حول شؤون الحكم وسياسة الرعية، واستخدمت في أول الأمر فيما نشب من خلاف بين المسلمين حول الخلافة إثر

[10]. المفصل في تاريخ الأدب العربي. ص

وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، فكانت الخطب التي ألقيت في سقيفة بني ساعدة هي كانت بداية الخطب السياسية. وعظم شأن الخطابة السياسية بعد مقتل عثمان وافتراق المسلمين إلى شيعتين إحداهما تناصر عليا والثانية تناصر معاوية بن أبي سفيان، ولكن هذه الخطابة لم تتألق وتزدهر إلا في العصر الأموي.

وفن آخر جعل يزدهر في عصر صدر الإسلام ويخطو خطواته الأولى في طريق النضج هو فن الترسل، فإن قيام الدولة الإسلامية أدى إلى احتياج كتاب يوجهون الرسائل إلى العمال والقبائل في مختلف أقطار الدولة، فكان للرسول كتابه كما كان لخلفائه وولاتهم من بعده كتابهم، ومن الكتاب الذين استعان بهم الرسول صلى الله عليه وسلم لكتابة الوحي وكتابة الرسائل علي ابن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وأبان بن سعيد، وخالد بن سعيد، والعلاء بن الحضرمي، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت.

كما ذكرنا أعلاه لاينتطح فيه العنزان أن النثر في العصر الأموي ازدهر وازدادت فنونه، وهذا واقع لا يجحد أن تعدد الأحزاب والصراع بينهما سببت إلى هذا الازدهار و خاصة في مجال الخطابة، فكل حزب يدافع عن نفسه بالخطب ويهاجم غيره، فضلا عن الخطب الدينية والحربية والدعوة إلى الجهاد، فقد كان للأمويين حزب يناصرهم طمعا في العطاء أو تعصبا لبني أمية، وللشيعة خطباء يؤيدون حقهم في الخلافة، وينكرون موقع معاوية، وللخوارج خطباء بارعون في إثارة المشاعر الدينية والدعوة إلى المساواة السياسية، وتنوعت الرسائل وتعددت أغراضها، حيث ازدهرت الرسائل الديوانية على يد عبد الحميد الكاتب، وكثرت الرسائل المتبادلة بين الخلفاء والأمراء والولاة، فضلا عن الرسائل خاصة في التهنئة والتعزية والشكر، وظهرت مجالس أدبية في قصور الخلفاء والأدباء تدور حول النقد الأدبي والموازنة بين الأدباء.

وكان للقرآن الكريم والحديث الشريف أثر لا يستهان به في النثر الأموي لأن الخطباء والكتاب يبدأون بالبسملة وحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله، مع الاستشهاد بالآيات الكريمة وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم.

أما العوامل التي أثرت في الأدب العربي نثرا وشعرا في هذا العصر هي كما يلي.[11]

[11]. المفصل في تاريخ الأدب العربي. ص

الأول: انتقال مقر الخلافة إلى دمشق جعل الشباب في الجزيرة العربية يشعرون بالفراغ والحرية بسبب اتبعادهم عن الحياة السياسية، فأقبلوا على الغزل بنوعيه سواء الصريح أو العفيف الذي يصف مشاعر الشوق وقوة عاطفة الشاعر نحو محبوبته.

الثاني: بعض الشعراء كانوا يتمتعون بحياة الترف والبذخ البعيدة عن كدورة العيش وخشونته و هذا النوع من الحياة جعلهم يقبلون على الشعر الذي يصف مجونهم وشرابهم وكثرة الغناء في مجالسهم، ومن أمثلة هذا الشعر شعر عمر بن أبي ربيعة وابن قيس الرقيات والأحوص في المدينة والوليد بن يزيد في دمشق.

الثالث: انتشار الغناء والمبالغة فيه، فكما يذكرأن يزيد بن عبد الملك كان يرسل في طلب المغنين والمغنيات، فقد اشترى مغنية مشهورة بأربعة آلاف تسمى حبابة، وأخرى بعشرين ألفا هي سلامة القس.

الرابع: ظهور الفرق السياسية المتنازعة على الحكم التي كانت تحتاج إلى شعراء يؤيدونها ويدافعون عنها، مثل (الشيعة، الخوارج، الزبيريون، بني أمية) كان عاملا في ظهور ألوان من الشعر والنثر ذات الموضوعات الجديدة التي تلائم هذه الظروف.

الخامس: كان الخلفاء الأمويون يقربون الشعراء منهم لمدحهم، وللدفاع عن سياستهم مما جعل بعض الشعراء يتنافسون من أجل الحصول على عطايا الخلفاء.

السادس: عودة التعصب القبلي الذب قضى عليه الإسلام من قبل، والذي شجعه الحكام لإبعاد الناس وشغلهم به عن السياسة وعن عيوب حكمهم.

خصائص الأدب في العصر الأموي:

الشعر

أسلوب الشعر فى هذاالعصر: كان أسلوب الشعر كأسلوبه فى الجاهلية وصدر الإسلام فجاء فى كتاب "المفصل فى تاريخ الادب العربى"

"لم يختلف أسلوب هذا العصر من أسلوب الشعر فى الجاهلية و صدر الإسلام من حيث بناء القصيدة من عدة عناصر من الأغراض والمقاصد ومن حيث سهولة العبارة و صعوبتها ورقة الألفاظ و غرابتها فكان الشاعر يبدأ القصيدة بالنسيب و ذكرالديار و ظعن

الحبائب ثم يفتخر بنفسه و قومه أحيانا و ينتقل بعد ذلك إلى الغرض الذى يتعمده من مديح أو هجاء".[12]

وأضاف الكاتب قائلا "أما شعر هذا العصر فإنه يمثل الحياة الإسلامية الخاضعة لسلطان الإسلام والخالصة من شوائب الوثنية جملة بعد أن طرأ عليها طوارئى سياسية واجتماعية و مذهبية تنوعت بها بعض الشيء عما كانت عليه فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم و خلفائه فتنوع لذلك الشعر فى بعض مواطنه فنا وأسلوبا غير أن الأراجيز عني بها فى عصر بنى أمية عناية جعلتها تقرب من القصائد فى أكثر خصائصها".[13]

نذكر هنا موضوعات الشعر المتواجدة في ذلك العصر وهي كما يلي.

المدح

يوجد المدح منذ الجاهلية الأولى ومن الجدير بالذكر أنه لم يكن ذريعة للتكسب إلا فى أواخرها وبعد أن جاء الإسلام ترخص النبى صلى الله عليه وسلم فيه تأييدا لدعوته و لكنه صلى الله عليه وسلم نهى عن سماع المدح لمجرد الاطراء وسلك الخلفاء الراشدون على هذا المسلك ولكن معاوية رضى الله عنه بعد أن تولى الخلافة ترخص قليلا لتاييد دعوته و توسع فى ذلك بنو مروان فاستمعوا كل غث و رث و أغدقوا على الشعراء العطاء وهكذا جعل الخلفاء يتنافسون في اختراع المعانى التى تعجب أولياء الأمر بها.

الهجاء

توقف نشاط الشعر بعد أن قال النبى صلى الله عليه وسلم "لأن يمتلئى جوف أحدكم قيعا يريه خير من أن يمتلئى شعراً[14] فجعل الناس يفضلون حفظ القرآن بدلا من إنشاد الشعر ولكن غزو قريش بالشعر و تصدى شعراءها لهجاء الرسول صلى الله عليه وسلم أدى الشعراء المسلمين إلى رد الهجاء فرخص النبى صلى الله عليه وسلم لشعراء المسلمين أن ينصروا الله بألسنتهم كما نصروه بسلاحهم ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يجز فى غيرها، ولكن بنى أمية تجاوزوا الحدود لهجاء مخالفيه السياسيين من المسلمين فهجا الأخطل الأنصار ثم هجا بعض قبائل العرب بعضا وصار العرب فى الهجاء إلى شر مما كانوا عليه في الجاهلية.

الفخر:

---

[12]. المفصل في تاريخ الأدب العربي. ص

[13]. المفصل في تاريخ الأدب العربي. ص

[14]. صحيح مسلم، كتاب الشعر، رقم الحديث 2258

إن الإسلام قد رخص الفخر فى التحدث بنعمة الله والانتصار على المشركين وفي التمجد بالفضائل الإسلامية ولكن الأحوال قد تغيرت فى عصر بنى أمية وجعل الشعراء يتفاخرون بأيامهم فى الجاهلية وكان فى ذلك أحياء لعصبية الجاهلية التى نهى الإسلام عنها ولكن لهذا النوع من الشعر فضل كبير فى حفظ التاريخ ووقائع العرب فى الجاهلية.

مع تواجد أغراض الشعر المعروفة عند العرب منذ العصر الجاهلي نرى أنه ظهر بعض الألوان الجديدة في العصر الإسلامي والعصر ما بعده ومن أهم بعض الألوان الشعرية هي:

الشعر السياسي:

وكان موضوعه الدفاع عن المذاهب السياسية المختلفة، سواء الشيعة أو الخوارج أو بني أمية أو أنصار عبد الله بن الزبير، فقد أصبح لكل حزب سياسي الشعراء الذين يدافعون عنه، ويبينون أحقيته بالحكم، ومن أمثلة هؤلاء الشعراء: الفرزدق الذي كان يمدح آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، وجرير الذي كان يمدح بني أمية، وأبو خالد القناني وقطري بن الفجاءة من شعراء الخوارج، ويمتاز شعرهم بأنه يؤثر في النفوس تأثيرا كبيرا.

ومن الأغراض الشعرية التي ازدهرت وتطورت في العصر الأموي

شعر الغزل:

كان الغزل في العصر الجاهلي منحصرة في مدح القصيدة، فأصبح في العصر الأموي غرضا شعريا مستقلا، بل وقف عليه بعض الشعراء شعرهم كله. وشعر الغزل نوعان:

الغزل الحضري (الغزل الصريح) : وهو يتناول مفاتن المرأة الحسية، ومن الشعراء الذين أكثروا من هذا اللون الشاعر عمر بن أبي ربيعة. و من عوامل ازدهاره هي كما يلي:

الأول: جعل الناس يعيشون حياة الترف والرخاء.

الثاني: شيوع الغناء في عواصم البلاد العربية وانتشار مجالس اللهو والشراب.

الثالث: انصراف كثير من شعراء الحجاز عن المشاركة السياسية بعد ان انتقلت عاصمة الخلافة إلى دمشق بالشام،

الغزل البدوي العذري (الغزل العفيف) :وهو يقوم على العاطفة الصادقة، ويخلع على المرأة ثوب القداسة، ويتناول معاني الوجد والشكوى والطهر والوفاء والتجنب عن ذكر محاسن المرأة ومفاتنها وعوامل ازدهاره هي:

الرابع: الفراغ الذي عاشه شعراء البادية.

الخامس: الغيرة على المرأة والمحافظة على التقاليد البدوية، ويمثل هذا اللون مجنون ليلى وجميل بن معمر.

ومن الأغراض الشعرية الجديدة التي ظهرت كفن متطورهو فن النقائض التي جرت بين الشعراء جرير والفرزدق والأخطل والبعيث. ومن عوامل التي ساعدت على ذيوع وانتشار هذا اللون هي:

الأول- التنافس بين الشعراء لنيل تقرب الخلفاء وعطاياهم.

الثاني- انتماء الشعراء إلى الأحزاب السياسية المختلفة المتصارعة على الحكم.

الثالث- تشجيع خلفاء بني أمية الشعراء لتصريف أذهان الناس عن السياسة وعن عيوب حكمهم.

الرابع- رغبة الناس في معرفة أخبار المعركة الكلامية الهجائية.

الخامس- اهتمام النقاد وعلماء اللغة بشعر النقائض للموازنة والمفاضلة بين الشعراء.

السادس- نمو العقل العربي ومرانه الواسع على الحوار والجدل والمناظرة.

السابع- حب العرب في التفاخر والأنساب وبأمجادهم.

الخصائص الفنية لشعر النقائض:

الأول- إنه مزيج من لونين من الشعر و هما الفخر والهجاء.

الثاني- يذكرالشعراء فيه أسلافهم ويمجدون ماضيهم، فضمت قصائدهم كثيرا من أخبار القبائل ومآثرها.

الثالث- يوجد فيه قوة البناء وهو مزين بأساليب بلاغية لتقوية الفكرة ولتكون مؤثرة في الخصم والسامعين.

الرابع- اختيار الألفاظ والكلمات المعبرة الموحية مما جعله ثرية بالمفردات والتراكيب المتنوعة.

الخامس- نجد في تلك القصائد شكلها المعروف منذ الجاهلية من حيث البدء بالوقوف على الأطلال أو وصف الخمر ثم تعدد الأغراض والموضوعات.

السادس- تأثرت في كثير من معانيها بروح الإسلام ومعاني القرآن الكريم والحديث الشريف.

آراء النقاد والأدباء في شعر النقائض:

النقاد والأدباء منقسمون في فريقين في رأيهم عن شعر النقائض وهما:

يرى فريق أنها أحيت روح التعصب القبلي الذي قضي عليه الإسلام مما يولد الكره و البغض والتفاخر بين القبائل.

يرى فريق آخر أن مع هذه العيوب هذا أيضا حقيقة أن لها محاسن كثيرة منها: أنها أثرت اللغة العربية وإفادتها بالأساليب الجديدة والتراكيب المختلفة، كما أنها كانت بمثابة سجل القبائل ولكثير من العادات والتقاليد العربية في العصر الأموي.

حياة جرير

أبوحرزة جرير بن عطية بن الخطفي كان من بنى كليب وهم بطن تميم وهو يلتقى بالفرزدق فى جدهما تميم.

ذكر كارل برو كلمان أن إسم الخطفي حذيفة بن بدر لكن لقبه غلب على اسمه لوقوع هذا اللفظ فى شعر له وهو:

يرفعن لليل اذا ما أسدفا أعناق جنان و هاماً رُجفا

و عنقا بعد الكلال خيطفا[15]

تسميته:

ذكر أبوالفرج الأصفهاني عن أبي عبيدة "أن أم جرير رأت وهي حامل به كأنها ولدت حبلا من شعر أسود فلما سقط منها جعل ينزو فيقع فى عنق هذا فيخنقه حتى فعل ذلك برجال كثير، فانتهبت فزعة فأولت الرويا فقيل لها : تلدين غلاما شاعرا ذا شر و شدة شكيمة وبلاء على الناس. فلما ولدته سمته جريرا باسم الحبل الذى رأت أنه خرج منها، قال: والجرير: الحبل"

كنيته:

يكنى جرير بأبي حرزة و حرزة ابنه الأكبر، كما يكنى بابن المراغة والمراغة من الأسماء القبيحة للأتان لقب به لأن كليبا كانت رعاة غنم و حمير.

أما والده عطية فكان رجلا دميما رث الهيئة يعرف منه البخل، روى أبوالفرج الأصفهاني رواية تدل على هذه الصفة وهى "أن رجلا قال لجرير: من أشعر الناس؟ قال له: قم حتى أعرفك الجواب، فأخذ بيده وجاء به إلى أبيه عطية قد أخذ عنزا له فاعتقلها و جعل يمص ضرعها، فصاح به! أخرج يا أبت؛ فخرج شيخ دميم، رث الهيئة وقد سال لبن العنز على لحيته؛ فقال! ألا ترى هذا؟ قال؛ نعم. قال: أو تعرفه؟ قال! لا. قال: هذا أبي، افتدرى لِمَ كان يشرب من ضرع العنز؟ قلت: لا. قال: مخافة أن يسمع صوت الحليب

[15]. تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان، ص 273

فيطلب منه لبن، ثم قال! أشعر الناس من فاخر بمثل هذا الأب ثمانين شاعرا و قارعهم به فغلبهم جميعا".[16]

أما أمه فتسمى أم قيس وهى حقه بنت معيد بن عمر بن معوذ بن حارثة بن عوف بن كليب بن يربوع فهى من نفس عشيرته، كان لجرير أخوان عمرو و أبوالورد رثاهما ببيتين رقيقين.

خليلى كم من زفرة رددتها من ظلمة وارث على ضحى حجرا

اذا ما دعا قوم علي أخاهم دعوتُ فلم اسمع حكيما ولا عمرا

ولكن الدكتور جميل سلطان يقول أن له خمسة بنين وهم قيس وعمرو وأبو الورد و عمران و حكيم.[17]

كان جرير كثير العيال فله تسعة ذكور و كان حرزة بن خالدة أكبرهم وبه يكنى الشاعر وكان منهم سوادة الذى توفي بالشام فرثاه بقصيدة رائعة مطلعها:

قالو نصيبك من أجر فقلت لهم من للعرين إذا فارقت أشبالي[18]

وكان منهم عكرمة الذى حمل آخر قصيدة جرير قالها فى مدح هشام بن عبدالملك. وكان كل أولاد جرير شعراء حيث يفتخر بشاعريته و شاعرية أبناءه فيقول:

فإن لآخر الشعراء منى كما للأولين من النكال

مواسم ما بقيت لهم و بعدى مواسم عند حرزة أو بلال[19]

كان من ذريته الأناث أم غيلان و جعادة وحيلة موفية وزيداء و هى التى تعرف باسم "الربداء"

أما أزواجه فمنهنّ أمامة وهى التى قال فيها:

ودّع أمامة حان منك رحيل إن الوداع لمن تحب قليل

مثل الكثيب ثما يلق أعطافه فالريح تجبر متنه و تهيل

ومنهن سلمى و خالدة بنت سعد و هي التى رثاها جرير بمرثيته المشهورة:

---

16. الأغاني، ج 8، ص 54
17. تاريخ الأدب العربي لجميل سلطان، ص 116
18. شرح ديوان جرير، ص 487
19. شرح ديوان جرير، ص 342

لو لا الحياة لعادنى استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار[20]

ومنهن جمل وأسماء و تماضر وقد ذكرهن فى شعره فقال:

أجد رواح القوم بل لات روحوا نعم كل من يعنى بجمل مبرح

اذا سايرت أسمائي يوما ظعائنا فأسمائي من تلك الظعائن أملح

ظللن حوالى خدر أسماء فانتحى بأسماء موار الملاطين أروح

صحا القلب عن أسماء قد برحت به وما كان يلقى من تماضُر أبرح[21]

واحداهن تكنى أم حكيم وهى من أهل الرأى كما ذكرها فى شعره:

اذا عرضو عشرين ألفا تعرضت لأم حكيم حاجة هى ماهيا

لقد زدت أهل الرى عندى مودة و هببت أضعافا إلى مواليا[22]

مولده ووفاته

لا يمكن لنا بت الحكم عن تاريخ مولده و سنة وفاته إلا أنه متفق عليه أنه مات بعد الفرزدق بستة أشهر، نذكرهنا عدة أقوال فى هذا الصدد.

قال بروكلمان: روى أن جريرا انتقل فى أواخر عمره إلى ضيعة له بالحجر فى اليمامة فمات فيها سنة 110 ﻫ 828 م[23]

وقال عمر فروخ ولد جرير خديجا لسبعة أشهر باليمامة سنة 30 ﻫ 650 م وكانت وفاته أيضا باليمامة سنة 114 ﻫ أو 115ﻫ بعد وفاة الفرزدق بستة أشهر أو بعام واحد.[24]

أما ريجيس بلاشير فذهب إلى أن جريرا ولد حوالى سنة 33 ﻫ الموافق 653 م ومات حوالى سنة 110 ﻫ الموافق 728 م[25]

أما صاحب الأعلام فيذكرون السنوات التالية لميلاده ووفاته 28ﻫ – 110ﻫ / 640م – 728م. [26]

---

[20]. شرح ديوان جرير، ص 218
[21]. شرح ديوان جرير، ص 118
[22]. شرح ديوان جرير، ص 682
[23]. تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان، ص 285
[24]. تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ، ص 626
[25]. تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ، ص 577

ويقول حنا الفاخورى فى كتابه الجامع فى تاريخ الأدب العربى أن جريرا ولد باليمامة نحو سنة 653م/ 33هـ أما وفاته فاختلف المؤرخون فى تحديد تاريخ وفاته على أنه فى الأغلب توفي سنة 733م/ 114 هـ و ذلك بعد وفاة الفرزق بنحو أربعين يوما، و بعد وفاة الأخطل بنحو ثلاث عشيرين سنة.

شخصيته وأخلاقه:

ولد جريد باليمامة ونشأ بين عشيرته نشأة البدوى الفقير ونشب متخلقا بأخلاق أهلها من الانتصاف لأنفسهم بأيديهم فان لم يستطيعوا فبأنفسهم.

وكان ضعيف البنية منذ ولادته ولعل هذا الضعف الجسمانى رجع إلى تكوينه الطبيعى فكان ولد خديجا لسبعة أشهر ولكنه مع هذا قوى النفس تقيا وكان مع حسن تشبيهه عفيفا يدل على هذا ما رواه الأصمعى قال أخبرنا أبو عمرو بن العلاء قال كنت قاعدا عند جرير وهو يملى.

"ودّع أمامة حان منك رحيل"

فمرت به جنازة فترك الإنشاد وقال شيبتنى هذه الجنائز، قلت فلأي شى تشتم الناس؟ قال يبدؤوننى ثم لا أعفو وكان يقول لا ابتدى ولكن اعتدى[27]

كان لا يشرب الخمر و لا يشهد مجالس القيان و يتظاهر بالدين والتعصب للإسلام، كثيرا ما عير الأخطل بدينه و الفرزدق برقة دينه.

ولكنه رغم تقواه و عفته بالغا فى العداوة والانتقام حد الإسراف ولذلك، فقد ذكر صاحب الأغاني أن المدائنى قال! كان جرير من أعق الناس بأبيه ، وكان بلال ابنه أعق الناس به (شذ الأغاني في هذا القول لأنه لم يقل أحد سواه هكذا عن جرير)، فراجع جرير بلالا الكلام يوما؛ فقال له بلال! الكاذب منى ومنك من ناك أمه، فاقبلت أمه عليه وقالت له! يا عدو الله! أتقول هذا لأبيك! فقال جرير! دعيه، فوالله كأنه سمعها مني و أنا أقولها لأبي.

وخلاصة القول أنه كان مع ذلك كله دينا كثير الصلاة والدعاء عفيفا لم يستطع خصومه على كثرتهم أن يصيبوا منه معرة وكان يُكثر الاستغفار من قذف المحصنات و يُقر أمام الناس ببرائتهن و يعتذر من قذفهن بأن أوليائهن ظلموه فجازاهم بما ظلموا.

---

[26]. الاعلام للزركلي،ص 119

[27]. الأغاني، ص 56

اتصاله بالولادة الخلفاء:

كان جرير مقيما بالمروت والفرزدق بالعراق فأرسلت بنو يربوع إلى جرير فانحدر إلى العراق و بعد ان انتقل الشاعر إلى العراق اتصل أول ما اتصل بوالي الكوفة "بشر بن مروان" ولقد اجتمع عنده بالأخطل والفرزدق وبشر هو الذى يقول فيه شاعرنا:

يا بشر حق لوجهل التشبير هلا غضبت لنا وأنت أمير

يا بشر إنك لم تزل فى نعمة ياتيك من قبل الإله بشير[28]

وبعد موت بشر اتصل بصهر الحجاج وعامله على البصرة "الحكم بن أيوب" فيمدحه برجز يقول فيه:

خليفة الحجاج غير المتهم فى معقِد العز بؤ بؤ الكرم

فأعجبه شعره وكتب إلى الحجاج أنه جاء أعرابي شيطان من الشياطين فكتب إليه الحجاج أن إبعث به ففعل وقدم عليه بواسطته فأكرمه وهكذا اتصل شاعرنا "بالحجاج بن يوسف" وجعل يمدحه و يعظم شأنه فيقول! إنه سد ثغورالنفاق مع شجاعة فائقة وإنه نافذ البصيرة واضح السياسة و يصور كيف أقام العدل فى الناس ومنع الرشوة وقضى على اللصوص وقطاع الطريق فى الليل المد لهم:

من سد مطلع النفاق عليكم أم من يصول كصولة الحجاج

أم من يغار على النساء حفيظة إذ لا يثقن بغيرة الازواج

ان ابن يوسف فاعلموا و تيقنوا ماض البصيرة واضح المنهاج[29]

ولما قضى الحجاج على ثورة ابن الأشعث سنة 82ه فينوه بانتصاره قائلا

دعا الحجاج مثل دعا نوح فاسمع ذا المعارج فاستجابا

صبرت النفس يابن أبي عقيل محافظة فكيف ترى الثوابا[30]

---

[28]. شرح ديوان جرير، ص 329

[29]. شرح ديوان جرير، ص 104

ومن المعروف أن للحاج الفضل الأكبر فى إيصال جرير إلى الخليفة "عبدالملك بن مروان" ولكن هناك سؤال وهو من الذى أوصله إلى الخليفة في الحقيقة، والحديث فيه ذو شجون فيقول ابن سلام الجمحى أن الحجاج نفسه فى وفادته التى وفدها لم يفد غيرها أهدى إليه جريرا.

أما أبوالفرج والقالى وغيرهما من الأدباء فيذكرون أن الحجاج أوفد ابنه محمدا إلى عبدالملك ومعه جرير ووصاه وأمره برجاء عبدالملك الاستماع منه ولكن عبدالملك رفض جريرا لأنه كان من مضر وكان شعراء مضر زبيرية ثم يأذن له بعد شفاعة فأنشد مدائحه فى الحجاج ثم أنشد قصيدته التى يقول فى استهلالها

تعزت أم حرزة ثم قالت رأيت الواردين ذوى امتناح

تعلل وهى ساغبة بنيها بأنفاس من الشبم القراح

سامتاح البحور فجنبينى أذاة اللوم وانتظرى امتياحى [31]

وخرج من ذلك إلى مديح عبدالملك:

وإني قد رايت علي حقا زيارتى الخليفة وامتداحى

سأشكر إن رددت على ريشى وأثبت القوادم فى حناحى

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطوف راح

ثم يذكر شماتته بابن الزبير فيقول

دعوت الملحدين أبا خبيب جماحا، هل شفيت من الجماح

فقد ولي الخلافة هبرزي ألف العيص ليس من النواحى

رأى الناس البصيرة فاستقاموا وبينت المراض من الصحاح[32]

وأعجب عبدالملك بجرير إعجابا شديدا وأجزل له العطاء فمضى بقية حياته يدافع عن حقه فى الخلافة و يقرر فى مدائحه حق الخلافة له و لمن خلفوه.

---

[30]. تاريخ فحول الشعراء لابن سلام، ص 163

[31]. شرح ديوان جرير، ص 119

[32]. شرح ديوان جرير، ص 111

ولما تربع "الوليد بن عبدالملك" على كرسي الخلافة صارت علاقته بالخليفة أقوى من علاقته بأبيه عبدالملك وقال فى شأنه قصائد منها واحد يحضه فيها على البيعة لابنه عبدالعزيز بدل أخيه سليمان فيقول:

فماذا تنظرون بها و فيكم جسور بالعظائم واعتلاء

إلى عبدالعزيز سمت عيون الرعيه إن تخيرت الرعاء[33]

ولما توفي الوليد بن عبدالملك رثاه بقصيدة يقول فيها:

يا عين جودي بدمع هاجه الذكر فما لدمعك بعد اليوم مدّخر

إن الخليفة قد وارى شمائله غبراء ملحودة فى جولها زور[34]

وفى خلافة الوليد بن عبدالملك قدم جرير المدينة وعليها "عمر بن عبدالعزيز" فذهب إليه جرير ومدحه بما اشتهر به من صلاح وتقوى وأن عطاءه و معروفه يشملان الجميع كالديمة التى توزع مطرها على الأرض، يقول:

يرجون منك لا يخشون مظلمه عرفا و تمطر من معروفك الديم

أحيا بك الله أقواما فكنت لهم نورا لبلاد الذى تجلى به الظلم

حتى انتهينا إلى من لن نجاوزه تجرى الأيامن لا بخل ولا عدم[35]

بعد وفاة الوليد تولى "سليمان بن عبدالملك" وقد ذكرت من قبل أن جريرا اشترك فى الحض على بيعة عبدالعزيز بن الوليد بدل أخيه سليمان لذلك نقم سليمان على جرير نقمة شديدة فلم يزره الشاعر إلا مرة واحدة.

ولما تولى "يزيد بن عبدالملك" اتصل به جرير و مدحه بمدائح أربعة ذكر فى واحد منها آل المهلب وثوره يزيد بن المهلب فيقول:

لقد تركت فلا نعدمك إذ كفروا لابن المهلب عظما غير مجبور

يابن المهلب أن الناس قد علموا أن الخلافة للشم المغاوير[36]

---

[33]. شرح ديوان جرير، ص 19
[34]. شرح ديوان جرير، ص 324
[35]. شرح ديوان جرير، ص 573
[36]. شرح ديوان جرير، ص 273

فى إحدى القصائد تعرض لذكر السياسة الخارجية التى لم يعف بذكرها الشعراء فى مدائحهم للخلفاء فذكر أن الهند أدت ما فى حصونها وكذلك الصيف وأرض هرقل و آل كسرى.

وبعد يزيد بن عبدالملك تولى "هشام بن عبدالملك" فزاره جرير فى أول سنة تولى فيها الخلافة ثم شق عليه أن يتحمل مشاق الرحلة لكبر سنه فأرسل ابنه عكرمة بقصيدة وهى من أروع مدائحه التى نضجت بنضج سنه، يقول في مطلعها:

عفا النسران بعد والوحيد ولا يبقى لجدته جديد

يقول مادحاً له:

فقلت لها الخليفة غير شك هوا لمهدى والحكم الرشيد

قطعن الدَوّ والادمى إليكم ومطلبكم من الأدمى بعيد

عيون شعره:

قال محمد ابن سلام الجمحي رأيت أعرابيا من بنى أسد أعجبنى ظرفه و روايته فقلت له! أيهما عندكم أشعر؟ قال بيوت الشعر أربعة! فخر و مدح وهجاء و نسيب وفى كلها غلب جرير قال فى الفخر:

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

المديح:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

الهجاء:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

النسيب:

إن العيون التى فى طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

قال أبو عبدالله محمد ابن سلام الجمحي: وبيت النسيب عندى :

فلما التقى الحيّان القيت العصا و مات الهوى لما أصيبت مقاتله

إن كثيرا من النقاد والأدباء يرون أن أجود بيت فى الرثاء، قوله:

لو لا الحياء لعادنى استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار

وأصدق بيت قوله:

إنى لارجو منك خيرا عاجلا والنفس مولعة بحب العاجل

وأشد بيت تهكماً قوله:

زعم الفزدق أن سيقتل مربعا إبشر بطول سلامة يا مربع

وأحسن بيت تشبيها قوله:

سرى نحوهم ليل كان نجومه قناديل فيهن الذبال المفتل

أو قوله فى وصف خيل:

وطوى الطراد بطونهن كانها طىّ التجاد بحضر موت برودا

ومن أبياته السائرة المشهورة قوله:

لا يأمنن قوى نقض مرّته إنى أرى الدهر ذا نقض و امرار

وقوله:

أنا البازى المطل على نمير أتيح من السماء لها انصبابا

وقوله:

يحالفهم فقر قديم و ذلة وبئس الخليطان المذلة و الفقر

فصبرا على ذل ربيع بن مالك وكل ذليل خير عادته الصبر

وقوله:

دعون الهوى ثم ارتمين قلوبنا بأسهم أعداء وهن صديق

أوانس! أما من أردن عناءه مغان ومن أطلقن فهو طليق

وقوله:

إن الذين غدو بلبك غادروا وشلاً بعينك ما يرال معينا

غيضن من عبراتهن وقلن لى ماذا لقيت من الهوى ولقينا

وقوله:

يا أهل حزرة إنى قد نصبت لكم بالمنجنيق ولما يرسل الخجر

وقوله:

تريدين أن ارضى وأنت بخيلة ومن ذا الذى يرضى الأخاء بالبخل

فإنك لا يرضى اذا كان عاتبا خليلك إلا بالمود والبذل

وقوله:

يا تيم إن بيوتكم تيمية قعس العماد قصيرة الاطناب

قوم اذا حضر الملوك وفودهم نتفت شواربهم على الأبواب

وقوله:

وكنت اذا نزلت بدارقوم ظعنت بخزيه وتركت عارا

وقوله:

ولو كنت حراً يا بن قين مجاشع شيّعت ضيفك فرسخين و ميلا

وقوله:

لا يستيطع أخو الصبابة أن يرى خجرا أصم، ولا يكون خديدا

وقوله:

لو أن عصم عمايتين و يذبل سمعت حديثك انزل الأوعالا

وقوله:

قل للجبان إذا تاخر مرجه هل أنت من شرك المنية ناجى

وقوله فى رثاء ابنه:

قالوا نصيبك من أجر فقلت لهم من للعرين اذا فارقت اشبالى

لكن سوادة بجلو مقلتى لحم باز بصرصر فوق المرقب العالى

قد كنت أعرفه منى اذا غلِقت رهن الجياد و مدّ الغاية الغالى

ألا تكن لك بالديرين باكية فرب باكية بالرمل معوال[37]

وقوله فى رثاء زوجه:

فجزاك ربك فى عشيرك نظرة وسقى صداك مجلجل مدرار

ولهت قلبى اذ علتنى كبرة وذووا التمائم من بنيك صفار

ارعى النجوم وقد مضت غورية عصب النحوم كأنهن صوار

نعم القرين وكنت علق مضنة وأرى بنعف بلية، الأحجار

عمرت مكرمة المساك و فارقت ما مسّها صلف، و لا اقتار

فسقى صدى جدث ببرقة ضاحك هزم اجشّ وديمة مدرار

[37]. شرح ديوان جرير، ص 487

أقوال الشعراء والأدباء فيه

بشار العقيلى يفضّله على الفرزدق والأخطل

روى صاحب الأغاني عن أبي خليفة قال! حدثنا محمد بن سلام قال! سالت بشار العقيلى عن الثلاثة، فقال! لم يكن الأخطل مثلهما ولكن ربيعة تعصبت له أفرطت فيه فقلت: فجرير والفرزدق، قال! كان يحسن ضروبات الشعر لا يحسنها الفرزدق و فضل جريراً عليه.[38]

قول الأخطل فيه

ذكر ابن سلام الجمحي : أخبرنى ابان بن عثمان الكوفي قال سئل الأخطل عن جرير بالكوفة فقال دعوا جريراً أخزاه الله فإنه كان بلاء على من صب عليه و ذكر من قوله:

ما قاد من عرب إلي جوادهم الا تركت جوادهم محسورا

أبقت مراكضتى الرهاف مجربا عندا المواطن يرزق التيسرا[39]

سكينة بنت الحسين فضّلته

ذكر فى الأغاني عن الشعبى أن الفرزدق خرج حاجاً، فلما قضى حجه عدل إلى المدينة فدخل إلى سكينة بنت الحسين فسلّم، فقالت له! يا فرزدق، من أشعرالناس؟ فقال: انا، قالت؛ كذبت! أشعر منك الذى يقول:

بنفسى من تجنبه عزيز علي ومن زيارته لمام

ومن امسى و أصبح لا أراه ويطرقنى اذا هجع النيام

فقال! والله لو أذنت لى لأسمعتك أحسن منه، قالت! أقيموه فاخرج، ثم عاد إليها من الغد فدخل عليها فقالت! يافرزدق، من أشعر الناس؟ قال أنا، قالت: كذبت! صاحبك جرير أشعر منك حيث يقول:

لو لا الحياء لعادنى استعبار ولرزت قبرك والحبيب يزار

كانت اذا هجر الحليل فراشها خزن الحديث وعفت الأسرار[40]

---

[38]. الأغاني، ج 8، ص 65

[39]. طبقات فحول الشعراء، ص 376

قول الراعى النميرى

ذكر ابن قتيبة أنه روى عن شيخ من أهل البصرة قال! مرّ راعي الإبل فى سفر فسمع انساناً يتغنى بشعر جرير وهو قوله:

وعاو عوى من غير شيئ رميته بقارعة انفاذها تقطرالدما

خروج بأفواه الرواة كأنها قرا هند وانى اذا هزّ صمّما

فقال! لمن هذا؟ قيل! لجرير فقال الراعى لعنة الله على من يلومنى أن يغلبنى مثل هذا[41]

قول الفرزدق فيه

روى عن مولى لبنى هاشم أنه سأل الفرزدق عن جرير فقال! قاتله الله فما أخشن ناحيته و أشرد قافيته والله لوتركوه لأبكى العجوز على شبابها والشبابة على أحبابها ولكنهم هرّوه فوجدوه عند الهراش نابحا وعند الجراء قارحا وقد حال بيتا لأن أكون قلته أحب إلي مما طلعت عليه الشمس

اذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا[42]

أبو مهدى الباهلى فضّله على جميع الشعراء

ذكر الأغانى أن عطاء بن مصعب قال! قلت لأبى مهدي الباهلي وكان من علماء العرب! أيهما أشعر جرير أم الفرزدق؟ فغضب ثم قال! جرير أشعر العرب كلها. ثم قال! لا يزال الشعراء موقوفين يوم القيامة حتى يجيىء جرير فيحكم بينهم.[43]

قول ابن الأخطل وحكم الأخطل عليه

أرسل الأخطل ابنه مالكا إلى العراق ليأتيه بخبر جرير والفرزدق فقال ابنه مالك بعد العودة: "وجدت جريرا يغرق من بحر، ووجدت الفرزدق ينحت من صخر" فقال الأخطل! الذى يغرق من بحر أشعرهما.[44]

---

[40]. الأغاني، ج 8، ص 43

[41]. الشعر والشعراء لابن قتيبة، ص **120**

[42]. الأغاني، ج8، ص 14

[43]. شرح ديوان جرير،ص 450

[44]. جرير لمحمد حمود، ص 25

قول ابن رشيق

ذكر ابن رشيق فى كتابه العمدة "كان الحذاق يقولون الفهول فى الجاهلية ثلاثة وفى الإسلام ثلاثة متشابهون زهير و الفرزدق والنابغة والأخطل والأعشى وجرير"[45]

قصة مع الحجاج

زعم ابن سلام عن أبي الدهماء قال قال الحجاج للفرزدق و جرير، وبين يديه جارية، أيكما مدحنى ببيت فضل فيه فهذه الجارية له،

فقال الفرزدق:

من يأمن الحجاج والطير تتقى عقوبته- الا ضعيف العزائم

وقال جرير:

من يأمن الحجاج امّا عقابه فمرّ واما عهده فوثيق

فقال الحجاج: "والطير تتقي عقوبته" كلام لا خير فيه لأن الطير تتقي كل شئى، الثوب والصبى وغير ذلك، خذها يا جرير.[46]

قول النوار (إمراة الفرزدق)

قال ابن سلّام أخبرنا ابن دريد، قال! أخبرنا أبوحاتم، قال، سمعت الأصمعى يقول! قال الفرزدق لإمراته النور، كيف شعرى من شعر جرير؟ قالت! قد شرِكك فى حلوه و غلبك على مُرّه.[47]

حديث الأصمعى فيه:

ذكر الأصفهاني فى كتابه الأغاني أن الأصمعي قال وهو يذكر جريراً كان ينهشه ثلاثة وأربعون شاعراً فينبذهم وراء ظهره ويرمى بهم واحداً واحداً منهم من كان ينفحه به و ثبت له الفرزدق والأخطل.

---

45. العمدة، ص 60
46. الموشح للمرزباني، ص 179
47. الموشح للمرزباني، ص168

قول زيرك بن هبيرة المنّانى:

ذكر الأصفهاني عن ابن سلام أنه أخبره الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه أن زيرك المنانى قال: كان جرير ميدان الشعر من لم يجر فيه لم يروِ شيئاً وكان من هاجى جريراً فغلبه جرير ارجح عندهم ممّن هاجى شاعرا آخر غير جرير فغلب.[48]

قال ابن سلام: وأهل البادية والشعراء بشعر جرير أعجب.[49]

"كان الخوارج يفضلون جريرا على الفرزدق وقال ابن سعود بن بشر لابن مناذر بمكة! من أشعرالناس؟ قال: من إذا لعب شبب، فاذا لعب أطمعك لعبه فيه، وإذا رمته بعد عليك، مثل جرير حين يقول اذا لعب:

إن الذين عدوا بلبك غادروا وشلاً بعينك مايزال معينا

ثم قال حين جد:

إن الذى حرم المكارم تغلبا جعل الخلافة والنبوة فينا

مضر أبي و أبو الملوك فهل لكم يا آل تغلب من أب كأبينا[50]

فنون الشعر عند جرير:

المدح

كان جرير متكسبا فى مدائحه يعرف من أين تؤكل الكتف ومدائحه فى بنى أمية والحجاج أعظم أشعاره فى المديح وهى لا تخلو من مسحة دينية ولا تظهر عصبيته فيه كما عرفت من قبل فى الفصل الثانى من الباب الأول أما الآن فنذكر العناصر العامة التى اشتمل عليها شعر المدح عنده.

العنصر الأول هو عناية الشاعر بتصوير الشخصية الممدوح ولا شك أن الشخص الذى نال أرفع مدائح جرير هو الحجاج بن يوسف صوّره جرير تصويرا رائعا بحيث يقول إنه يذب عن خلافة المسلمين ويطفئ نار الفتن والثورات:

ماض على الغمرات يمضى همّه والليل مختلف الطرائق داجى[51]

---

[48]. شرح ديوان جرير، ص 797

[49]. طبقات فحول الشعراء، ج1، ص 375

[50]. تاريخ الأدب العربي لجودة الركابي، ص 178

[51]. شرح ديوان جرير، ص104

اذا سعر الخلفية نار حرب رأى الحجاج اثقبها شهابا[52]

وأصبح كالبازى يقلب طرفه على مربإ والطير منه دواخل[53]

كذلك يصور خالداً القسرى فى صورة البطل:

اذا ما أراد الناس منه ظلامة أبى الضيم فاستعصى على كل قائد

وكيف يروم الناس شيئامنعته هوى بين انياب الليوث الحوارد

إذا ما لقيت القرف فى حارة الوغى تنفس من جيّاشة ذات عاند[54]

وحينما يصوّر قوة بأس الخلفاء الأمراء فلا يبعث صورة البطل الذى يلقي فى قلوب أعدائه خوفا فتكاد تذهب ريحهم بل يقول:

فما وجدوا عبدالعزيز معمراً لا ذا سقاط عند امريحا وله

ولا جافياعن قائم السيف قبضه إذا الفشل الرعديد قفت أناملة[55]

كذلك يقول فى هشام بن عبدالملك

يعم على البريد منك فضل وتطرف من مخافتك الأسود

وان أهل الظلالة خالفوكم أصابهم كما لقيت ثمود

و تأخذ بالوثيقة ثم تمضى اذا ازدحمت لدى الحرب الجنود[56]

تعاضى السامعين اذا اطاعوا ولكن العصاة لقوا غراما

ويحسر من تركت فلم تكلم ويغبط من تراجعه الكلاما[57]

والعنصر الثانى هو ذكر أعمال الممدوحين العظيمة التى يستحقون بها المدح والثناء وهذه الأعمال إما تتصل بالأمن والقضاء على الفتن وإما تتصل بالمشروعات النافعة التى تعم الجميع فمثلاً يقول عن الحجاج:

من سد مطلع النفاق عليكم أم من يصول كصولة الحجاج[58]

---

[52]. شرح ديوان جرير، ص 30
[53]. شرح ديوان جرير، ص 487
[54]. شرح ديوان جرير، ص 192
[55]. شرح ديوان جرير، ص 479
[56]. شرح ديوان جرير، ص 479
[57]. شرح ديوان جرير، ص 162

عفاريت العراق شفيت منهم فامسواخا ضعيف لك الرقابا[59]

و أطفا نيران العراق وقد علا لهن دخان ساطع و حريق[60]

كذلك يصور تلك المعارك الدامية التى قامت بين جيوش الخليفة وعلى رأسها الحجاج وبين جيوش العدو فيرفع الحجاج الى مكان يحسده عليه الفرقدان.

لقيتهم، وخيلُهمُ سمان بساهمة النواظر و الخدود

أقمت لهم بمسكن سوق موت وأخرى يوم زاوية الجنود

ترى نفس المنافق فى حشاة تعارض كل جائفة عَنود

تحسهم السيوف كما تسامى حريق النار فى اجم الحصيد

ويومُهم العماس اذا رأوه على سر باله صدأ الحديد[61]

ويصور المنافقين فيقول إنهم ضعفاء وهم كظليم القفر حيث التقى بهم الأسد فى عرينه:

فجاءوا- خاطمين – ظليم قفر إلى الحجاج فى أجم الأسود[62]

ثم يقول! إن الممدوح لم يأل جهدا فى تتبع العصاه:

سلكت لأهل البر برا فنلتهم وفى اليمّ ياتم السفين الجوافل[63]

ثم يصف السفن بشيىء من التفصيل فيقول

اذا اعترك الكلأ والماء لم تقد بأمراسها، حتى تثوب القنابل

تخال جبال الثلج لما ترفعت اجلتها، والكيد فيهن كامل

تشق حباب الماء عن واسقاته وتغرس حوث البحر منها الكلاكل[64]

---

[58]. شرح ديوان جرير، ص 104
[59]. شرح ديوان جرير، ص 30
[60]. شرح ديوان جرير، ص 437
[61]. شرح ديوان جرير، ص 137
[62]. شرح ديوان جرير، ص 487
[63]. شرح ديوان جرير، ص 95
[64]. شرح ديوان جرير، ص 488

الغزل:

قد آن لنا الآن أن نعرف حب جرير، بعد النظر على حياته يتّضح لنا أنه تزوج كثيرات و قد ملك عدة جوار أهديت إليه بعضهن واشترى بعضهن الآخر، ونرى بعد دراستة غزله أنه لم يكن متعلقا بواحدة بعينها تعلقا يجعله لا يلتف إلى غيرها بل كان أشبه بعمر بن أبي ربيعة فيقول:

أخالد قد علقتك بعد هند فبلّتنى الخوالد والهنود[65]

ويظهر بعد استقراء ديوانه أنه ذكر أكثر من خمسين إسماً نسائياً و يتضح هذا أيضاً أنه ذكر إسم أمامة أكثر من إحدى و عشرين مرة وسلمى حوالى ست مرات أما فيما عداه فلم يذكر إلا مرة أو مرتين.

ولا يفرد جرير لغزله قصائد بعينها بل كلها مقدمات للقصائد، والنقاد يرون أن مثل هذا الغزل متكلف، ومن الممكن أن ينطبق هذا على بعض شعره ولكن جزءا كبيرا منه صدر عن عاطفه فياضة لأنه ليس من الضرورى أن يكون الشاعر عاشقا فى الفترة التى ينظم فيها قصيدته بل هو يسترجع الذكريات ثم يقول الشعر.

وإن تريد أن تنظر مثل هذا فانظر إلى الأشعار التى تغزل بها من زوجته أم حرزة.

أخالد ما من حاجة تنبرى لنا بذكراك إلا أرفض منى المدامع

وقال:

أخالد عاد وعدكم خلابا ومنيت المواعد والكذابا

وقال:

أباحت أم حرزة من فؤادى شعاب الحب أن له شعابا[66]

والآن نترك المجال للدكتور جودة الركابي فهو يقول عن غزل جرير "تقرأ غزله فيخيل إليك أنك تقبض على قلبه وتلمس أنفاسه الحرة وعواطفه الصادقه فهو فى غزله سهل العبارة، رقيق الألفاظ، بارع فى انتقائها، مهكم لأوضاعها، سلس الطبع ينحدر

[65]. شرح ديوان جرير، ص 175
[66]. شرح ديوان جرير، ص 85

الشعر إلى النفس انحدارا، لاتكاد تقع منه على جملة مستكرهة أو كلام مدخول، ويكاد يكون كل بيت من الأبيات فى غزله مطبوعا مجّدا لا أثر للضعف والتكلف فيه."[67]

النسيب:

إن النسيب هو الأصل فى الغزل لأن الأنثى تعجب الذكر أولا بمحاسنها وبحسدها وأعضاءها فاذا لم تتهيا له الفرصة للاقتران منها أرقّ وهام على وجهه شاكياً.

وشاعرنا جرير أيضاً وصف محبوبته وصفاً مادياً ولكنه لم يكن إباحيا فيه ولم يسلك مسلك امرىء القيس أو الأعشى بل يمس هذه الموضوعات المثيرة مسا سريعا، يصف الوجه فيقول:

إذا سفرت، فمسفرها جميل ويرضى العي مرجعها اللثاما[68]

ويقول واصفاً شعر صاحبته

تعل ذكى المسلك وحفاً كانه عنا قيد ميل لم ينلهنّ قاطف[69]

ويقول واصفاً العنق:

يبدين سن خلل الحجال سوالفاً بيضاً، تزين بالجمال المذهب

أعناق عاطية الغصون جوازىء يبحثن بالأدمى عروق الحلب[70]

كذلك يظهر الشاعر إعجابه بعيون صاحبته وثناياها فيقول:

ولقد رمينك حين رحن باعين ينظرن من خلل الستور سواجى[71]

إن العيون التى فى طرفها حور قتلننا، ثم لم يحيين قتلانا[72]

وكثيراً ما يصف الأسنان فيقول:

تجرى السواك على أغرّ، كأنّه برد تحدد من متون غمام

تسقي امتياحاً ندى المسواك ريقتها كما تضمّن ماء المزنة الرصف[73]

---

67. شرح ديوان جرير، ص 135
68. شرح ديوان جرير، ص 562
69. شرح ديوان جرير، ص 418
70. شرح ديوان جرير، ص 32
71. شرح ديوان جرير، ص 104
72. شرح ديوان جرير، ص 678
73. شرح ديوان جرير، ص 423

وهكذا نرى أن الشاعر يعبّر عن شعوره أرقّ تعبير وجاء باللفظ المختار الذى كأنه الحرير.

الرثاء:

أما رثاؤه فله قسمان قسم خص به أهل بيته كإمراته وابنه. وقسم خص به بعض رجال الدولة وغيرهم كالوليد وابنه عبدالعزيز والواقع أن رثاءه لابنه سواده و لزوجته أم حرزة صورة ثائرة للحب المضطرم، يقول فى رثاء ابنه:

قالوا! نصيبك من اجر فقلت لهم من للعرين اذا فارقت أاشبالى

ولكن سوادة يجلو يقلتى لحم باز يصرصر فوق المرقب العالى

زدنا على وجدها وجداً وان رجعت فى القلب منها خطوب ذات بلبال[74]

وفى رثاء زوجه يذكرزيارة قبرها وما نال من فقدها يقول:

لو لا الحياة لعادنى استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار

ولقد نظرت، وما تمتع نظرة فى اللحد، حيث تمكن المحفار

ولهت قلبى، اذ علتنى كبرة وذوو التمائم من بنيك صغار[75]

وجملة القول أن رثاءه لولده أو لزوجه هو صورة متألمة لحبه الصادق.

أما رثاؤه لرجال الدوله وغيرهم فيعتمد على التهويل والمبالغة يحاول الشاعر فيها أن يخفى ما ليس عنده من لوعة أو عاطفه على الفقيد، يرثي عبدالعزيز بن الوليد فيقول:

فهدّ الأرض مصرعه فمادت رواسيها و نُضّبت البحور

وأظلمت البلاد عليه حزنا وقلت افارق القمر المنير[76]

وهناك نوع آخر رثى به عظام الرجال ولكنه لم يسلك فيه مسلك التهويل والمبالغة وهذا النوع أقرب إلى النفس كقوله فى يحيى بن مبشّر :

صلّى الإله عليك يابن مبشر أنى قتلت بملتقى الأجناد

مأوى الجياع اذا السنون تتابعت وفتى الطعان عشية العصواد[77]

---

[74]. شرح ديوان جرير، ص 474

[75]. شرح ديوان جرير، ص 217

[76]. شرح ديوان جرير، ص 246

ورثاؤه للفرزدق يعد من هذا النوع الأخير فقد أثبت له من المحامد ما كان ينكره عليه فى حياته، يقول:

لعمرى لقد أشجى تميما وهدّها على نكبات الدهر موت الفرزدق

عشية راحوا للفراق بنعشه إلى جدث فى هوة الارض معمق

لقد غادرو فى اللحد من كان ينتمى إلى كل نجم فى السماء محلق

فتى عاش يبنى المجد تسعين حجة وكان الى الخيرات والمجد يرتقى [78]

الفخر:

إن جريراً لم يقصد إليه قصداً بل هو متصل بهجائه وإن كان دون مراتب الفرزدق من النسب ولكنه كان يجتمع معه في تميم وهو أعزالناس نفراً وفى ذلك قوله:

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا[79]

وقوله:

فلا حسبى يقصر فى تميم ولا سيفى يكل ولا لسانى[80]

ولعل أطهر ما فى فخر جرير هو فخره بنفسه وقوته وشجاعته فيقول:

أعددت للشعراء سماً ناقعاً فسقيت آخرهم بكاس الأول

وليس لسيفى فى العظام بقية وللسيف أشوى وقعة من لسانيا[81]

كذلك يصور نفسه بازياً فيقول:

أنا البازي المطل على نمير أتيح من السماء لها انصبابا[82]

فلا صلى الإلـه على نمـير ولا سقيت قبورهم السحابا

ولو وزنت حلوم بني نمير على الميزان ما وزنت ذبـابا

---

77. شرح ديوان جرير، ص 123
78. شرح ديوان جرير، ص 455
79. شرح ديوان جرير، ص 94
80. شرح ديوان جرير، ص 645
81. شرح ديوان جرير، ص 689
82. شرح ديوان جرير، ص 94

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ، ولا كـلابا
إذا غضبت عليك بنو تميـم حسبت النـاس كلهم غضـابا[83]

وشاعرنا جرير فى فخره على الأخطل يلتجا إلى المعانى الإسلامية والنسب القرشى الذى صورت عنه الرسالة المحمدية فكان يرجع فى فخره على الأخطل إلى مضر وفى مضر النبوة والخلافة، يقول:

إن الذى حرم المكارم تغلبا جعل النبوة والخلافة فينا
هل تملكون من المشاعر شعرا أو تشهدون مع الاذان اذينا
مضر أبي وأبو الملوك فهل لكم يا خزر تغلب من أب كأبينا[84]

وبعده يجعل جرير لنفسه من الشأن ما لو شاء لطلب إلى ابن عمه الخليفة فى دمشق أن يسوق إليه تغلب عبيدا لفعل، فيقول:

هذا ابن عمى فى دمشق خليفة لو شئت ساقكم إلي قطينا

الهجاء:

كان لجرير مقدرة عظيمة فى الهجاء وكان هجاؤه لا يخلو من تهكم ومقارنة بين من يهجوهم وبين أعدائهم وأنه كان يبالغ فى الزراية والتحقير وأنه يقوم بتتبع حياة المهجو و حياة ذويه وتعداد نقائصه والكشف عن عوراته واحدة فواحدة ولكن أكثر هجاءه منزه عن الفحش و بعيد عن خبث الأخطل وبذاءة كلام الفرزدق ونذكر النقائض في الباب الآتي فنذكر عنه بالتفصيل.

[83]. شرح ديوان جرير، ص 251
[84]. شرح ديوان جرير، ص 659

الباب الثاني

جريروشاعريته

الفصل الأول

شعر النقائض والخلفية التاريخية له

الفصل الثاني

المناقضة الشعرية بين جرير و الفرزدق والأخطل

الفصل الثالث

دراسة فنية لشعره

شعر النقائض والخلفية التاريخية له

شعر النقائض هو فن من الفنون الأدبية التي كانت توجد منذ العصر الجاهلي ولكن نشأت وترعرعت في العصر الأموي وأصبح فنا أدبيا مستقلا على أيدي الشعراء الأمويين الثلاث وهم جرير، الفرزدق والأخطل. ومن الممتع أن الفضل يرجع إلى هذا النوع الجديد من الشعر في تخليد أنساب العرب وأحسابهم وحكاياتهم وطريقة حياتهم وعاداتهم وكذلك لهذا النوع فضل كبير في إثراء الأدب العربي وأضاف هذا اللون ثروة لا يستهان بها من الألفاظ إلى اللغة العربية.

تعريف النقيضة: النقيضة هي جمع مفرده نقيضة ولها عدة معاني ولكن المعنى المراد هنا هو مناقضة القول وهي قصيدة يرد بها شاعر على قصيدة خصم له، ويتكلم بخلاف معناه، ويهجو شاعرا آخرا أو يفتخر بنفسه أمامه ويقلب فخر خصمه هجاء، وينسب الفخر الصحيح إلى نفسه هو النقيضة.

شروط النقيضة:

من أهم شرائط النقيضة هي أن تكون عادة من بحر قصيدة الخصم وعلى رويها، فإذا قال أحد من الخصمين قصيدة جديدة، ولو كانت استمرارا لمحاجاة قديمة فإنه ينظمها عادة من بحر جديد وعلى روي جديد، إلا أن خصمه إذا رد على هذه القصيدة الجديدة تقيد ببحرها ورويها.

مثال على النقيضة:

قال الفرزدق متحديا جرير:

فإني أنا الموت الذي هو نازل بنفسك فانظر كيف أنت تحاوله

فرد عليه جرير بقوله:

أنا الدهر يفنى الموت والدهر خالد فجئني بمثل الدهر شيء يطاوله

قيمة النقيضة:

للنقائض قيمة لغوية كبيرة، فشعراء المناقضات قد سلكوا مسلك القدماء وحفظوا اللغة العربية الصافية، فالألفاظ التي جاءت في النقائض كانت كثيرة، وكان أكثرها غريبا متصلا بالمعاني الجاهلية القديمة، بل نجد أن بعض ألفاظ النقائض كانت أكثر غرابة من ألفاظ المعلقات.

تاريخ النقيضة وأسبابها:

لقد كانت النقائض في العصر الأموي استمرارا للهجاء القبلي في الجاهلية، وكان سبب هذه النقائض هو خلاف بين قبيلتين أوأسرتين فينتصر شاعر لقومه أوأخلاف قومه، فيرد عليه شاعر من هؤلاء فيجيبه الأول، ثم يلتحم الهجاء ويستطير، وكمان من أهم أسباب شعر النقائض هو قيام الأحزاب السياسية وتقرب الشعراء إلى الخلفاء والأمراء بهجاء خصومهم تكسبا للمال.

النقائض قبل العهد الأموي:

كلما نسمع كلمة النقائض تتذكرأذهاننا تلك المعارك الأدبية التي جرت بين أبطالها وشعرائها من الفرزدق، جرير والأخطل في عهد بني أمية، ونظن أن تلك القصائد التي تناشدها هؤلاء الشعراء الفحول هي النقائض لاغير، ولكننا إذا درسنا الشعر العربي كله دراسة عميقة، توصلنا إلى أن فن النقائض ليس حديث عهد بالشعر العربي حتى كأنه لم يعرفه الشعر العربي إلا في العهد الأموي بل في الحقيقة شعر النقائض هو ماعرفه الشعر العربي منذ نشأته في العهد الجاهلي إلا أن نقائض ذلك العهد (الجاهلي) لم تشتهر ولم تنل عند الناس ذلك القبول الذي حظيت به النقائض الأموية.

أسباب تقدم النقائض الأموية على النقائض الجاهلية:

هناك أسباب تقدم النقائض الأموية على النقائض الجاهلية منها ما يلي:

الأول- أصبع النقائض الأموية ناضجة و مكتملة.

الثاني- كثرة عددها وطولها حتى أن بعض القصائد في هذاالفن تجاوز ستين بيتا.

الثالث- اشتغال الحكومة الأموية بها وإثارتها، وتشجيها عليها بدعم شعرائها بالمال وإغداقه عليهم.

الرابع- اشتغال كبار شعرائها في هذا المجال حتى أن أكثر من ثمانين شاعرا جعلوها شغلهم الشاغل، وموضوع نواديهم ومجالسهم، واشتغلوا بها حرصا على المال، وطمعا في السمعة.

الخامس- أدت العصبيات القبلية أيضا إلى المهاجاة والتساب فيما بينهم، حتى يبدولنا أن الوضع قد استدار كهيئته يوم الجاهلية. يقول أحمد الشائب: رأينا هذا الفن ينشأ في حظيرة الشعر الجاهلي طفلا يحبو ثم تستقيم قدماه فينمو سريعا حتى نراه شابا قويا ولا سيما في ظلال السيوف وبين (الأيام) فلما جاء الإسلام ظفر به فنا مؤطا الأكناف كثير الأبوب فاستغله في سبيل دولته حتى حينما جاء الأمويون أشعلوه نارا موقدة كانت، وفي نزعتها، رجعة جاهلية عاصفة في ظل الدولة الإسلامية[85]

النقائض الجاهلية:

كان العرب في العهد الجاهلي كان يعيش الحياة البدوية التي تجمع بين الفقرين: فقر المادي العلمي، والفقر النفسي، و إذا كان الإنسان منغمسا بين الفقرين دفع إلى القتال والمحاربة لامحالة للحصول على ما يساعده في العيش في الدنيا، والحروب تغذي قريحة الشاعر كما قال المؤرخون، وماذا يذكر الشاعر العربي الذي هو بدوي و مصاب بالفقر علما ومالا في شعره وأنه لا يرى إلا مناظر البادية، وآفاق السماء متفتحة أمام عينيه، ولا يسمع إلا أقاصيص البطولة والحرب، وإنه يمر بوعوثة الصحراء وخشونة العيش ويجمع بين حرية الفكر التي يقتضيها الفقر وسذاجة البدو؟ لا يكون جوابنا إلا أن نقول: إن شعره يمتلئ بالفخر والهجاء والحماسة والرثاء، والنقائض ليست إلا مجموعة هذه الفنون الأربعة وخاصة الفخر والهجاء، فكما أن الحروب المادية تنشأ عن الفخر والهجاء كذلك تتولد المعركة الأدبية منهما، نرى أن شاعرا يقوم مفتخرا أو هاجيا فينبرى له نده ويرد عليه.

خواص النقائض الجاهلية وفنونها:

كانت النقائض في بداية العهد الجاهلي قائمة على نقض المعاني، لا يلتزم فيها الشاعر الثاني ببحر الأول وقافيته، فكأنها كانت ردودا أو حوارا جدليا، ولكنها أخذت تتوفر فيها جميع الشروط التي تقتضيها النقائض. ومن أصول النقائض الجاهلية ومقوماتها الأنساب، والعصبيات القبلية، والاعتراف بالظلم والعدوان، والمفاخرة بالأحساب والأنساب ومن أهم فنون النقائض الفخر والهجاء. ومع كل ذلك لم تلفت النقائض الجاهلية أنظار الناس إليها كما لفتت النقائض الأموية لأسباب تقدم ذكرها.

[85]. تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ، ج1، ص360

النقائض الإسلامية:

غيرت الأوضاع الإسلامية الرسوم الجاهلية من وجوه شتى، من حيث العصبية القبلية (الجاهلية) التي صارت شيئا منكرا بعد مجيئ الإسلام وحلت محلها رابطة قومية وعقيدة دينية، كما أن الإسلام محا الجهالة الجاهلية، ووضع محلها العفو والتسامح والتمسك بآداب الدين وجاء الإسلام معه بنهضة أدبية بنزول القران الكريم، وأحاديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وخطبه وتعاليمه وتوسعت مناحيه، وتفتحت آفاقه، وظهرت فيه بعض جوانب لم يعهد بها من قبل، ثم إن انقسام الناس في طبقتين، طبقة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم و طبقة مناوئيه وأعدائه من كفار قريش أدى إلى معركتين: مادية ولسانية. وهذه المعركة اللسانية هي التي نعبر عنها بالنقائض في العهد الإسلامي.

الفرق بين النقائض الجاهلية والنقائض في العهد الإسلامي.

النقائض الإسلامية في الواقع امتدادا للنقائض الجاهلية، ولكن بتأثير الأوضاع الإسلامية التي سرحنا النظر عليها آنفا حدثت بعض تغييرات في النقائض الإسلامية: في موضوعاتها، و معانيها، و أسلوبها، و غايتها. وإليكم الحديث بالإيجاز:

1- إذا كان موضوع الجاهلية هو الحصول على الرئاسة أواللهو واللعب أوالمغازلة والمعاشقة فان موضوع الإسلام كان إرشاد الناس الى الخير، ونشر الدين إلى جميع أرجاء العالم، وتلقينهم مكارم الأخلاق والنبل والمروة وايثار الآجلة على العاجلة.

2- تنحصر المعاني الجاهلية في الأحساب والأنساب والأيام، بينما جاء الإسلام بمعان جديدة من الكفر والضلال والهداية.

3- كان الشعراء الفحول في العهد الجاهلي يذكرون صفات الرحل والديار، ويهجون ويمدحون، ويشببون بالنساء، ويصفون الخمور والحروب، ويفاخرون وينافرون، فقوي أسلوبهم بهذه الأمور، وأما العهد الإسلامي فظلت فيه الأساليب مضطربة غير مستوية لاضطراب الوضع وارتجال الشعر أمام الحوادث الطارئة، وهرم بعض الشعراء، والتزام بعضهم حدودا وآدابا إسلامية.

4- غاية النقائض الجاهلية اشتفاء نفس مغيظة، وسيرورة قبلية، وافتخار بالشعر، وبعث الرهبة في النفوس، وأما غاية النقائض الإسلامية فهي دعم الإسلام ونشر تعاليمه، وإصلاح البشر كله. وهناك مشابهة بينهما أيضا، وذلك أن كلتيهما قويت وعاشت في ظل الحروب والأيام.

ممن اشتهروا في هذا المجال هم حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة من الانصار، وعبدالله بن الزبعري، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعمروبن العاص من كفار قريش، وكعب بن الأشرف، وحطيئة، وسماك اليهودي، ومن لم يشتهروا هم الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكعب بن جعيل والحارث بن هشام، ومعانة بن شعرب، وعلي بن أبي طالب، وعباس بن مرداس، وهند بنت عتبة، وكان الشعر، والخطابة، والترسل، والرواية هى أربعة مظاهر أو فنون للأدب فى العهد الأموى ومن أبرزها الشعر الذى تنوع و توسع نطاقة ووجدت له أنواع متعددة وهى كما يلى:

1 الشعر السياسى
2 المدح
3 الهجاء
4 الغزل الاباحى
5 الغزل العذرى
6 الغزل التقليدى

ونتعرض هنا للشعر السياسى فقط، لأن النقائض فى الواقع نوع منه كما يقول عمر فروخ: الشعر السياسي هو الشعر الذي قاله الشعراء المناصرون للأحزاب السياسية المتنازعة على الخلافة في العصر الأموي، وكان الشعر المستمر بين الشعراء المتهاجين يدعى النقائض.

أسباب نشوء النقائض الأموية:

الأول- الاقتصاد وأسباب العيش: هذا ما أدى إلى مناقضة جرير والأخطل والفرزدق وغسان والبعيث والراعي[86]

الثاني- السياسة الدولية الحزبية: كان موقف قيس عيلان مع الزبيريين على بني أمية في مرج راهط ثم مكانتهم في الشام والجزيرة مما أخاف تغلب، وشغل بني أمية، وعين موقف جرير والأخطل، ثم موقف الفرزدق منهما، وما دار حول هذا من نقائض اشترك فيها أقطابها الثلاثة.[87]

[86]. نقائض جرير والفرزدق، ج2، ص7
[87]. الأغاني،ج8، ص 68

الثالث- العصبية القلبية (وغيرها من الأسباب القبلية أوالاجتماعية): كانت العصبية القبلية عاملا كبيرا في إثارة النقائض بين الشعراء، فالأخطل تغلبي، وجرير تميمي ولكن يربوعي، والفرزدق تميمي أيضا ولكن مجاشعي.[88]

4 عوامل فنية: هناك عوامل فنية تقوم على قيمة الشعر والمفاصلة بين الشعراء، ومن هذه العوامل الفنية سرقة الشعر.[89]

فنون النقائض الأموية:

استغلت النقائض الأموية جميع فنون الشعر العربي، من نسيب وحماسة وهجاء ورثاء وفخر و وصف- وكان الفخر والهجاء عنصرين أساسيين لها.[90]

شعراء النقائض الأموية:

ذكر الأصفهاني في كتابه (الأغاني) قصة لجرير تدل على أن من فاخرهم جرير بلغوا ثمانين شاعرا،[91] وفي الأغاني نفسه قصة أخرى تشير إلى أن من هجا جريرا خمسون شاعرا غير الأخطل،[92] والأصمعي يقول: هم ثلاثة وأربعون شاعرا- وخلاصة هذه الروايات كلها أن الشعراء الذين ناقضوا جريرا هم كثيرون، وقد سمى جرير بعضهم في أحدى نقائضه حيث يقول:[93]

أعددت للشعراء كاسامرة عندي مخالطها السمام المنقع

هلا نهاهم تسعة قتلتهم أواربعون حدوتهم فاستجمعوا

ذاق الفرزدق والاخيطل حرها البارقي وذاق منهاالبلتع

ولقد قسمت لذي الرقاع هدية وتركت فيه وهية لا ترقع

ولقد صككت بني الفدوكس صكة فلقواكما لقي القريد الأصلح

(القريد الأصلح هو الفرزدق)

مرة سأل الحجاج جريرا عن خصومه فسرد أسماءهم وكانوا عشرة وهم: غسان بن ذهيل السليطي، والفرزدق، والبلتع وهو المستنير بن سبرة العنبري،

---

[88]. نقائض جرير والأخطل، ص157

[89]. تاريخ النقائض،ص 221

[90]. نقائض جرير والفرزدق، ج7، ص 96

[91]. الأغاني، ج8، ص8

[92]. الأغاني، ج 8، ص49

[93]. نقائض جرير والفرزدق، ص966

والأخطل التغلبي، وجنفة الهزائي، والراعي، وسراقة البارقي، والعباس بن يزيد الكندي، وسمحة الأعور النبهاني الكهلاني[94] وغيرهم من مناوئي جرير من الشعراء كما تلى أسماؤهم:

المرار بن منقذ التيمي، حكيم بن معية التميمي، ثور بن الأشهب بن رميلة، قبضة الكلب، الدلهمس، علقمة، السرندي،[95] ولكن لم يناقض منهم جريرا إلا العشرة السابقون. وهناك ستة آخرون التحم بهم جرير وهم: عدي بن الرقاع، والحماني، والصلتان العبدي، وخليد عينين، وأبوالورقاء، وعقبة بن مليص المقلدي، وعمرو بن لجا التميمي واشتهر من هولاء كلهم في مجال المناقضة جرير والفرزدق والأخطل والبعيث والراعي وعمرو بن لجا وغسان ثم تاخر كلهم عن مناقضة جرير إلاالفرزدق والأخطل.[96]

كيف التحم أبطال النقائض بعضهم مع بعض:

من يقرأ مقدمة (نقائض جرير والفرزدق) يلاحظ أن نشأة النقائض ترجع إلى نزاع بين رهط جرير وبين بني جحيش بن جارية بن سليط (وكلا الحيين من يربوع) بسبب غدير فاستعان جحيش بغسان بن ذهيل السليط فجها بني الخطفى رهط جرير ويدخل في المناقضة العناب أعور بني نبهان خال بني ثمامة من سليط، وفضالة العربي اليربوعي. ونجد النقائض تحبو في حي اليربوعيين ولكن الحوادث قضت مع تدخل البعيث المجاشعي من رهط الفرزدق من تميم أيضا فيلتحم مع جرير فيعلوه جرير ويهجو مجاشعا فيأتى نساء بني مجاشع إلى الفرزدق فيحملنه على ردع شاعر بني يربوع فيشتبكان ويسقط بينهما سائر من تدخلوا في المناقضة ما عدا الأخطل الذي اشتبك فيها أخيرا وقد كبرت سنه. وأما الأخطل فإنه لما بلغه تهاجي جرير والفرزدق بعث ابنه إلى العراق ليأتي بخبرهما فلما رجع قال: وجدت جريرا يغرف من بحر، والفرزدق ينحت من صخر. ففضل الأخطل جريرا على الفرزدق فلما قدم الأخطل العراق أعطاه مجاشعي ألف درهم وكسوة على أن يناصر الفرزدق ويهجو جريرا ففعل.[97]

---

[94]. تقرأ قصة الأغاني، ج8، ص 14

[95]. نفس المصدر، ص 14

[96]. يراجع للتفصيل إلى تاريخ النقائض لأحمد الشائب.

[97]. يراجع للتفصيل العصر الأموي للدكتور قصي الحسين، ص 152-157

نقائض جرير والفرزدق:

قبل الخوض في دراسة نقائضهما يجمل بنا أن نقدم نبذة من حياة الفرزدق ثم جريرواحدة بعد أخرى.

ملامح من سيرة الفرزدق:

إسمه همام بن غالب بن صعصعة ويكنى بأبي فراس ويلقب بالفرزدق. ولد فى بني مجاشع من تميم سنة 19 أو 20ه (المصادف 642م) ولد في عهد خلافة عمر رضي الله عنه، وكان أبوه يقطن في بادية كاظمة، وكان متمولا لما كان يملك من أموال ثم أنتقل إلي بصرة. ذهب به أبوه (غالب) إلى سيدنا علي رضى الله عنه سنة 36ه (بعد انتهاء معركة جمل) وقال: هذا ابني وسيكون شاعرا. فقال علي: علمه القران، لك خير له، رسخ لك في قلب الفرزدق وشد رجليه بسلسلة من الحديد واقسم ألا يخرج من البيت مالم يحفظ القران الكريم فحفظ وفاء بما أقسم، اتصل بالخليفة الأموي عبدالملك بن مروان وأبنائه الخلفاء ومدحهم وكان مضطرب النفس، معجبا مستهترا بالنساء، وفي آخر عمره تاب بيد حسن البصري رحمه الله، توفي سنة 110ه (المصادف 708م)،[98] عده محمد بن سلام الجمحي في الطبقة الأولى من شعراء العصرالإسلامي.[99] معاني شعره دقيقة و تراكيبه صعبة متعقدة ولذلك يعجب بكلامه العلماء والأدباء والنحويون واللغويون. استخدم أربعين ألف كلمة شاذة في شعره حتى قيل: لو لا الفرزدق لضاع ثلث (أو ثلثا) اللغة العربية. كلامه في الفخر والهجاء أجوده.[100]

أما ملامح جرير فقد ذكرناه في الباب الأول ولذلك ما نحتاج لإعادته هنا.

دراسة لنقائض جرير والفرزدق:

ناقض جرير عمرو بن لجا والبعيث والراعي (ونقائض الأولين خاصة أكثر من نقائضه مع الفرزدق) ولكن نقائضهم من جرير لم تحفظ في صورة كتاب مستقل وإنما هي منثورة ههنا و ههنا وأما نقائض الفرزدق مع جرير فهي محفوظة في الكتب الآتية:

1 (نقائض جرير والفرزدق) جمعها قاسم محمد رجب.
2 (النقائض) للأصمعي.

---

[98]. تدرس حياته في الأعلام، ج8، ص93، ووفيات الأعيان،ج2، ص196، وطبقات ابن سلام، ص75

[99]. طبقات فحول الشعراء، ص 251

[100]. تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ، ج7، ص360، و تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف، ج1، ص370

3 (نقائض جرير الفرزدق) جمعها محمد بن حبيب رواية أبي عبيدة معمر بن المثنى، مصحوبة بشرح محمد بن عباس اليزيدي وهي في جزء، تقع في 1054 صفحة، نشر المشتسرق بيفن، وفي هذا الكتاب 113 قصيدة، 63 لجرير و 38 للفرزدق و 6 للبعيث وواحد لغسان وواحد للنعمان.

وتفصيل ذلك كله موجود في (تاريخ الأدب العربي) لبروكلمان (273/277/١) وفي (معجم الشعراء) للمرزباني (الجزء الثاني) و (الفهرست) لابن النديم (ص 225 تحت عنوان: نقائض جرير والفرزدق) وفي (تاريخ النقائض) لأحمد الشايب و (مجلة المشرق ج 10/ ص 435-441) وممن درسوا بعض هذه النقائض دراسة أدبية أو نقدية أحمد الشايب في كتابه (تاريخ النقائض) وعبد الحليم الندوي في مقاله (دراسة جديدة لجرير).

ندرس ههنا بعض نقائض جرير والفرزدق إذ لا يمكن في هذا البحث الوجيز عرض و تحليل كلها:

1 لقد ذكرنا من قبل سبب التحام جرير مع الفرزدق في هذا الفصل نفسه فلا حاجة إلى إعادته وإنما نعرض هنا قصيدة الفرزدق الأولى التي هجا بها جريرا:

ألم تر أني يوم جوسويقة بكيت فنادتني هنيدة ماليا

ثم دل الفرزدق فيها على البعيث ونفاه عن مجاشع ورماه بجر الشرور:

وماأنت منا غير أنك تدعي إلى آل قرط بعدما كنت عانيا

تكون مع الأدنى إذاكنت آمنا وادعى إذا غم الغثاء التراقيا

ثم التفت إلى جرير وقومه فأنذره بالويل لما تعرض له بالهجاء، ونزل بقومه إلى الحضيض أمام مجد دارم وسنائهم وجلال أحسابهم:

فأجابه جرير بنقيضته:

ألاحي رهبى ثم حي المطاليا فقد كان مانوسا فاصبح خاليا

2 وهناك نقيضة أخرى ذكرها صاحب (ديوان الفرزدق) وشارح النقائض:

أقول لصاحبي من التعزي وقد نكبن اكثبة العقار

أعيناني على زفرات قلب يحن برامتين إلى النوار

ونقضها عليه جرير بقصيدته الآتية:

سمت لي نظرة فرايت برقا تهاميا فراجعني ادكاري

المراد بالعقار أرض باهلة أو بني عامر، ويقال اسم رمل ويقا لها عقار الملح وهو بين اليامة وعقيق بني كعب. حينما عدلت صواحبه عن كثباب أرض باهلة قال الفرزدق معزيا: أنصراني فان قلبي يبكي مشتاق إلى النوار (حبيبتي) فلا تخذلاني، حتى أكون وحيدا لا نصير لي ولا صاحب يساعدني وكلما ذكرت شيئا عن النوار سالت عيوني كما يسيل الوادي بعد المطر حتى يسمع له صوت.

إذا ذكرت نوار له استهلت مدامع مسبل العبرات جار

يبدأ الفرزدق نقيضته هذه بالنسيب كما هو عادة الشعراء القدامى من العرب فإنهم غالبا يستهلون قصائدهم بذكر حبائبهم و محاسنهن وديارهن وذلك ما يسمى عندهم بالتشبيب أو بذكر انطباعاتهم من الحب وما يصيبهم من حزن و غم بعد فراقهن ومغادرتهن إلى مكان شاسع وذلك ما يسمى بالنسيب.

قصيدته هذه تشتمل على 24 بيتا، ستة منها تتعلق بالنسيب ثم يعود إلى الغرض الرئيسي فيقول:

كسعت ابن المراغة حين ولى إلى شر القبائل والديار

(الكسع أن يضرب الرجل مؤخر الرجل بصدر قدمه تحقيرا واهانة له، والمراد بابن المراغة)، يذكر مهينا مذللا له أن جريرا حينما لجا إلى قبيلة يستهان بها و دار لا يؤبه بها فضربه بمؤخر رجله ولم يأبه به شيئا حيث حقر نفسه بدخوله في زمرة القبيلة السيئة، ومن هم؟ أي قبيلة هذه؟ يوضح ذلك في البيت التالى:

إلى أهل المضايق من كليب كلاب تحت اخبية صغار

هم كليب يسكنون في بيوت صغيرة ضيقة حتى إذا رايت من مكان بعيد بدا كأنها مخيمات بل أجحار ضيقة صغيرة يأوي إليها بنو كليب و يستريحون في داخلها ولا غرو فإن كلمتي كليب وكلاب مادة اشتقاقهما واحدة، أفراد كليب يا للمساكين! ليس عندهم إلا حمر لا يتجاوز عددها رؤوس الأصابع ومخيمات صغيرة لا يزينها شيئ.

ألا قبح الإله بني كليب ذوي الحمرات العمد القصار

إن نساءهم لا يواريهن خمار (والمراة العربية يواريها خمار آية للعفاف والطهر وعدم البغاء) لأنهن فاجرات يزنين ليل نهار فإذا أنتقين بدا محاجرهن سودا.

نساء بالمضايق ما يواري مخازيهن منتقب الخمار

إن بني كليب لئام إلى حد أن لؤمهم لو الصق بالنجوم لما طلعت قط ندما ولو رميت الشمس بلؤمهم لغابت من أعين الناس للابد:

ولو ترمى بلؤم بني كليب نجوم الليل لما وضحت لساري

ولو لبس النهار بنو كليب لدنس لؤمهم وضح النهار

وبعد هجاء جرير بهذه الأبيات يمدح قبيلة بني ضبة فيعدهم بني السيد الذين لا يخضعون لأعدائهم ولا يستسلمون لهم مهما كان الأمر ومهما جد الجد، إنهم أصحاب أيام غر محجلة وأصحاب سيوف يخرجون بها إلى ساحة الحرب و يقتحمون في الوغى بدون روية ومن غير تفكر فيما يصيبهم من جروح وإصابات.إنهم يخوضون المعارك و يقدمون فيها ممتطين صهوات الخيل الجياد ويقتلون الملوك ورؤوس القبائل و يذودون عن زمار أهليهم فيقول:[101]

وفضل آل ضبة كل يوم وقائع بالمجردة العواري

وتقديم إذااعترف المنايا بجرد الخيل في اللجج الغمار

وتقتيل الملوك وإن منهم فوارس يوم طحفة والنسار

2 وللفرزدق قصيدة تشتمل على مائة وثلاثة أبيات: مطلعها:

لا قوم أكرم من تميم اذ غدت عوذ النساء يسقن كالاجال

أبيات الفخر تبلغ زهاء 41 بيتا، يبدأ الفرزدق قصيدته هذه بالفخر بقبيلته تميم و يفخر في غضونها ببني مجاشع وبني دارم و يصفهم بخصال كريمة، من المروءة والشرف و المجد والكرامة، ويمدحهم بأن لهم بطشا شديدا عند ما يغضبون ولا يلينون لاعدائهم ومناوئيهم في أي حالا من الأحوال ولا يستكينون لهم مهما كان الأمر.انهم يقدمون عند تأخر كل قبيلة، ويحمون جارهم، ويطعمون في أيام الجدب. إنهم أسخياء في أيام الرخاء والضنك معا. لا ترى فيهم أي نقص ولا عوج. ثم يهدد جريرا: يا جرير! إن كنت جريئا فانهض ونافر قبيلتنا في سوق عكاظ انك لا تستطيع، فإن كل من يعيش في

[101]. نقائض جرير والأجطل، ج1،ص305

هذا العالم ثريا كان أو فقيرا، وعدوا كان أو صديقا، حليفا كان أو رقيبا، يعرف أن الحصى لا تبلغ عددنا، وأننا عظماء كرام، ثم يذكره الفرزدق بأيام قومه الغر التي شهدوها وأبلوا فيها بلاء حسنا ولا سيما تلك المعركة التي دافع فيها بنو مجاشع (قوم الفرزدق) عن بني كليب (قوم جرير) حين شن البكريون غارة عليهم فكان ذلك يوما مشهودا، ألا وهو يوم الغبيط ويذكره بيوم الكلاب حينما حاربوا واستقبلوا أعداءهم بالرماح والسيوف وهزموهم هزيمة شنيعة.

وبالجملة فإن هذه النقيضة تشتمل على عناصر آتية:

1- الفخر بالقبيلة

2- الاعتزاز بالنفس

3- الهجاء القبلي

4- الهجاء الشخصي

وفيما يلي خصائص قصيدة الفرزدق هذه:

1- تناول موضوعات شتى، من الفخر بشخصه وقومه، والهجاء القبلي، والهجاء الشخصي وذكر الأيام.

2- أسلوبه فخم، يهيمن عليه الفخر، ونرى في أسلوبه ضخامة حتى في النسيب الذي يقتضي الرقة والليونة.

3- ينتاول بعض كلمات غريبة شاذة وهذه هي ميزته التي تميزه عن غيره من أبطال النقائض (بل عن سائر الشعراء) حتى قيل: لولا الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب.

4- فخره أجود من فخر جرير لانه ينتمي إلى أعالى تميم بينما جرير ينتمي إلى أسافلها.

5- لم يتورط الفرزدق في الفحش والبذاء عند الهجاء خلافا لجرير.

و أما خصائص جرير فهي كما تلي:

1- قصيدته أقصر من قصيدة الفرزدق لكونه يتناول فنونا أقل منه.

2- أسلوبه رقيق غير فخم، وخاصة في النسيب والهجاء، ولذلك سار شعره أكثر مما سار لغيره.

3- وللفرزدق قصيدة أخرى تشتمل على حوالى 155 بيتا وردهاعليه جرير بقصيدة تحتوي على 84 بيتا. القصيدة ميمية يذكر فيها الفرزدق قتل قتيبة بن مسلم على يد وكيع بن حسان التميمي (وكان بنو تميم متهمين بأنهم تجمعوا مع وكيع لقتله فكذب ذلك الفرزدق) ويمدح الخليفة سليمان بن عبدالملك ويهجو جريرا والقيسيين.

مطلع قصيدة الفرزدق كما يلي:

تحن بزوراء المدينة ناقتي حنين عجول تبتغي البورائم

ويا ليت زواء المدينة أصبحت باحفار فلج أو بسيف الكواظم

وكم نام عني بالمدينة لم يبل إلى اطلاع النفس دون الحيازم

(فلج وكواظم: علمان لقريتين)

ومن هذا البيت المفصل في القصيدة، ويمسك جرير بتلابيب الفرزدق يناقشه ويبطل ما ادعاه لنفسه ويكشف عن كذبه في نقيضة مطلعها:

ألا حي ربع المنزل المتقادم وما حل مذحلت بهام سالم

تبتدأ قصيدة الفرزدق بالنسيب كما هو عادة الشعراء القدامى من العرب ويتمنى لقاء حبيبه.

ولست بماخوذ بلغو تقوله إذا لم تعمد عاقدات العزائم

ههنا تلميح حيث يشير الفرزدق إلى الآية الكريمة: (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان) فيقول للنفس: لا تؤاخذين فيما إذا صدرت منك هفوة سهوا، ولكنك إذا اذنبت ذنبا تعمدا فتعذبين بذلك، فكفي عن خطا العمد. ثم الشاعر الفرزدق يغادر المدينة المنورة إلى دمشق حيث الخليفة الأموي سليمان بن عبدالملك يتولى أمور الخلافة. إن هذا النسيب نرى فيه حزنا ممتزجا بالجلال والوقار، وكآبة تجمع بين الرزانة والمتانة، وإن كانت قصائده الأخرى تمتلئ بالنسيب الجاهلي، وأما نسيب جرير فهو طبيعي، فيه رقة وسلاسة:

ألا حي رسم المنزل المتقادم وما حل مذحلت بهام سالم

بناك الجوي مما يخاف وقد نرى شفاء القلوب الصاديات الحوائم

ويحاول أن يسلك مسلك امرئ القيس وعلقمة فيقول:

أغرك مني أنما قادني الهوى إليك، وما عهد لكن بدائم

ويقول الفرزدق وهو يصطنع الوقار والتقى:

إذا جاشت نفسي أقول لها ارجعي وراءك واستحي بياض اللهازم

(الجشاء صوت يثور من الحلق عند امتلاء المعدة عادة، واللهزم عظم ناتئ في اللحى تحت الحنك) فيمسك جرير بتلابيبه باصطناعه الوقار والتقى قائلا:

لقد ولدت أم الفرزدق فاجرا وجاءت بوزواز قصير القوائم

وزوز/وزواز: خشبة عريضة يجر بها تراب الأرض المرتفعة إلى الأرض المنخفضة.

يعني جرير إنما يدعي الفرزدق عدم اتصاله بالتقى والوقار حتى لا يفتح فاه ولا يخرج صوتا منه لغو و كذب، إنما هو فاسق لا تقي، طائش خفيف العقل لا رزين ووقور، ثم يقول جرير مكذبا ما يدعي الفرزدق من أن جاره يأمنه ويستبشر بجواره:

وماكان جار للفرزدق مسلم ليأمن قردا ليله غير نائم

يوصل حبليه إذا جن ليله ليرقى إلى جاراته بالسلالم

أي كيف يأمنه جاره وهو كالقرد الذي لا ينام طليلة الليل، يفكر كيف يضره وتقلق باله فهو يحتال و يتخذ ألوانا من الحيل كالفرزدق الذي يصعد إلى جاره بعدما يمد الليل رواقه فيقلقه ويهزه هزا عنيفا.

أتيت حدود الله مذ أنت يافع وشبت فما ينهاك شيب اللهازم

هذا البيت يدل على استهزائه بما ادعى الفرزدق من كف نسفه عن الجشاء استحياء من اللهازم.

وردا على قول الفرزدق في شد رحاله على النوق وسفره بها:

نواهض يحملن الهموم التي جفت بنا عن حشايا المحصنات الكرائم

يقول جرير:

تتبع في الماخور كل مريبة ولست بأهل المحصنات الكرائم

يحدث صاحب النقائض (أبوعبيدة) في معرض ذكر لهذه القصيدة أنه لما قدم الفرزدق وجرير عند عمر بن عبدالعزيز وكان آنذاك في المدينة المنورة، امتحن كلا منهما وأراد أن يعرف سبب خروج الفرزدق من المدينة المنورة – وكان الفرزدق قد غادرها إلى دمشق بعدما بلغه أن وكيعا قتل قتيبة واتهم سليمان الخليفة بني تميم بالغدر والاتفاق مع وكيع على قتله. فادعى أنها دواعي الرحلة التي تكلها قلبه وهواه، حيث يقول:

أبو إلا الرحيل واعلقوا عرى في برى محشوشة بالخزائم

وراحوا بجثماني وأمسك قلبه حشاشة بين المصلى وواقم

فعند جرير دعواه ودحض حجته وزعم أن خروجه من المدينة أدى إلى طهورها من رجسه، وأنه لم يخرج منها إلا لانتهاك الحرمات واقتراف الزنا. وما يدعي من أنه تاب من الزنا والفحشاء فليس ذلك صحيحا حيث يشهد هو نفسه بذلك، ويعرف الناس بطلان دعواه، فيقول جرير:

رأيتك لا توفي بجار اجرته ولا مسعفا عن لئام المطاعم

هو الرجس يأهل المدينه فاحذروا مداخل رجس بالخبيثات عالم

لقد كان إخراج الفرزدق عنكم طهورا لما بين المصلى و واقم

تدليت تزني من ثمانين قامة وقصرت عن باع العلى والمكارم

ومن هنا يبدأ الفرزدق مدح سليمان بن عبدالملك وأسرته بعد انتهائه من النسيب[102]

ورثتم قناة الملك غير كلالة عن ابني مناف عبد شمس وهاشم

ترى التاج معقوداعليه كأنهم نجوم حوالى بدر ملك قماقم

الجدير بالملاحظ أن الفرزدق وحده يمدح الخليفة سليمان، وأما خصمه جرير فلا يشاركه في هذا الموضوع، وذلك لادعاء الفرزدق زعامة تميم لأنهم كانوا متهمين بالغدر. وأما جرير فليس في وهمه مثل هذه الأمور فلم يتعرض لمدحه. ويتجه الفرزدق بعد ذلك إلى هجاء الحجاج بن يوسف لكونه قيسيا – وقيس عدو تميم التقليدى – ويتهم بأنه طاغ باغ، طمع نهم، خاذل صديقه عندما تنوبه نائبة، ويشبهه بأصحاب الفيل:

نصرت كنصر البيت إذ ساق فيله إليه عظيم المشركين الأعاجم

[102]. تاريخ النقائض 347

وما نصر الحجاج إلا بغيره على كل يوم مستحر الملاحم

لا يتعرض جرير للحجاج ههنا أيضا ولا يهجوه لأنه شاعر قيس أصلا و صنيع الحجاج وكان قتل قتيبة هو الذي أدى إلى هذه المناقضة وكان بنو تميم متهمين بأنهم أجمعوا مع وكيع على قتله، فكذب ذلك الفرزدق قائلا:

أتانى ورحلي بالمدينة وقعة لآل تميم اقعدت كل قائم

أبينا بهم قتلي وما في دمائهم وفاء، وهن الشافيات الحوائم

ثم يذكر الفرزدق أن الغادرين هم قيس، ويستدل في ذلك بيوم الحشاك الذي نشب بين قيس و تغلب، وكان قتيبة من قيس، ففر قومه بينما ثبتت تميم على طاعته:

فان تقعدوا تقعد لئام اذلة وان عدتم عدنا ببيض صوارم

ويبدو أن الفرزدق تصدى لاتهام قيس بالغدر والخداع، خلافا لجرير فإنه لم يتحدث طويلا في هذا الموضوع إلا أنه حينما رأى الفرزدق ينسب مصرع قتيبة إلى تميم خاصة، وانه وفي للخليفة بذلك، وثار لبني الاهتم فاخذ فضل ذلك ليربوع خاصة فقال جرير:

فغيركأدى للخليفة عهده فغيرك جلى عن وجوها لهاتم

ولكن جريرا لم ينس قيسا أيضا حتى عزى بني باهلة رهط قتيبة قائلا:

أباهل! ما احببت قتل ابن مسلم ولا ان تروا قومكم بالمظالم

أباهل! قد أوفيتم من دمائكم إذا ما قلتم رهط قيس بن عاصم

ومن هنا نرى أن الفرزدق يفخر بقوة تميم وأخواله ضبة ويتهم جريرا باتصاله بقيس وانه ليس من تميم ويرتشي من قيس:

فما أنت من قيس فتنبع دونها ولا من تميم في رؤوس الاعاظم

وإنك إذ تهجو تميما وترتشي تبابين قيس أو حوق العائم

ولكن الفرزدق يعد نفسه وفيا بقومه، لذلك يمدح أفراد قبيلته، ويذكر ما حدث مع حاجب بن زرارة الذي لما أسر يوم جبلة افتدى قومه – دارم – لم أسره وهو ذو الرقيبة بألف بعير، وأطلق مائة من أسارى قيس فيقول الفرزدق:

وما علم الأقوام مثل اسيرنا أسيرا ولا أجداثنا بالكواظم

الجدث: القبر، وكاظمة: علم لقرية، والمراد بصاحب الجدث بالكاظمة غالب بن صعصعة والد الفرزدق. يقال: لا يعلم قبر اجار أحدا في الجاهلية أوالإسلام غيره، فقد استجارت بقبره امراة فرد عليها ابنها من بعث السند كان مع تميم بن زيد القيني، وكذلك أصاب رجل من بني الأبيض من مجاشع دما فسأل الناس فلم يعطوه شيئا فاستغاث بقبر غالب فافتكه الفرزدق بمائة ناقة:

إذا عجز الأحياء أن يحملوا دما أناخ إلى اجداثنا كل غارم

ترى كل مظلوم إلينا فراره ويهرب منا جهده كل ظالم

أبت عامر أن ياخذوا بأسيرهم مئين من الأسرى لهم عند دارم

وقالوا لنا: زيدوا عليهم فإنهم كفاء وإن كانوا ثغام اللهازم

رأوا حاجبا أغلى فداء وقومه أحق بأيام العلى والمكارم

ونرى جريرا أنه بعد أن عزى باهلة – رهط قتيبة – توجه إلى الفرزدق وحذره من اثارته قيسا وهدده قائلا:

تحضض يا ابن القين قيسا ليجعلوا لقومك يوما مثل يوم الأراقم

وأراد جرير بيوم الأراقم يوم الحشاك الذي تقدم ذكره، ويمضي جرير قائلا في هذه المعركة:

إذا ركبت قيس خيولا مغيرة على القين يقرع سن خزيان نادم

ومادعى جرير من الخزي والندم رد على زعم الفرزدق من ندم قتيبة ورهطه:

ندمت على العصيان لما رأيتنا كأنا ذرى الأطواد ذات المخازم

لقد شهدت قيس فماكان نصرها قتيبة إلا عضها بالاباهم

وكلاالخصمين يدعي الشؤم، أماالفرزدق فهو يظن قتبيبة شؤما على قومه:

نبحت لقيس نبحة لم تدع لها أنوفا ومرت طيرها بالاشائم

بينما يزعم جرير أن كلا من الفرزدق والأخطل شؤم على قومه، فكما أن الفرزدق أثار قيسا كذلك أثار الأخطل أحدا من بني سلم (وهو الجحاف) فحمل على تغلب يوم البشر، فرفع الأخطل شكواها إلى الخليفة عبدالملك، يقول جرير في هذا الصدد:

وقبلك ما أخزى الأخيطل قومه وأسلمهم للمازق المتلاحم

وليتضح أن جريرا يميل إلى قيس لكونهم أخواله (فإن السفهاء بنت غنم الباهلية أم الاهمال من بني يربوع وهم سليط وعمرو صبير و ثعلبة)،[103] فلذلك يفخر بقيس ويضيف خندفا –إلياس بن مضر – ومن المعلوم ان قيسا وخندفاهم ذوو احساب كريمة، ومآثر نبيلة حيث ينتهى نسبها إلى مضر، كما ينتهي نسب ضبة إليها، فيربط جرير نسبه بهم ليفاخر الفرزدق، يقول:

أنا ابن فروع المجد قيس و خندف بنوا لي عاديا رفيع الدعائم

فقد قابل جرير ههنا أخواله قيسا بأخوال الفرزدق ضبة فكما أن الفرزدق يظن أن ضبة مفخرة لمضر كذلك يحسب جرير أن قيسا مفخرة لها فيقول:

لقد حدبت قيس وافناء خندف على مرهب حام ذمار المحارم

فما زادني المدى نقض مرة ولا رق عظمي للضروس العواجم

ثم يبدأ جرير إشادة يربوع بغض النظر عما عيره الفرزدق به من الخسة والدناءة، وضعة أبيه وفقره:

تراني إذا ما الناس عدوا قديمهم وفضل المساعي مسفرا غير واجم

بأيام قومي، ما لقومك مثلها بها سهلوا عني خبار الجرائم

ثم يذكر جرير أيام قيس:

إنى وقيسا يا ابن قين مجاشع كريم اصفى مدحتي للأكارم

هذا رد على ما قال الفرزدق:

وكما ذكرنا سابقا عن الفرزدق أنه لم يذكر بعض أيام، كذلك لم يعترض جرير لبعض أيام (ليربوع أو على دارم) وقد كان فيها ما يكفيه مفاخرا بخصمه، [104] ذكرنا من قبل أن الفخر والهجاء عنصران أساسيان للنقائض، والانساب والاحساب هما اللتان تؤديان معظم الاحيان إلى الفخر والهجاء، وفي مجال الانساب ترى أن الفرزدق يحسب نفسه أعلى وأكرم من جرير، ويفخر بأن قومه تميم ليس لهم كفاء إلا بني هاشم وعبد مناف وانهم ينتهي نسبهم إلى مضروهم قوم الرسول الذين قاموا باعلاء كلمة الله ونشر

[103]. تاريخ النقائض، ص348

[104]. تاريخ النقائض، ص348

دينه من أقصى الأرض إلى أقصاها، ومن جنوبها إلى شمالها، ومن شرقها إلى غربها، وهم الذين رفعوا رأية الإسلام وأشعلوا منار الهدى في العالم كله:

وماكان هذاالناس حتى هداهم بناالله إلا مثل البهائم

ويهجو قيس – أخوال جرير – وكليبا، وتسبها لما صنعت مع قتيبة قائدها – وقدمو ذكره – ولا يستطيع أن يرد جرير عليه لأنتمائه إلى تميم، أنه لم يكن يجترئ على هجاء قومه كلهم، وكل ماستطاع أن يفعل أن يمدح قيسا، مكذبا بما رماه الفرزدق به من تهم، إلا أنه فكر حتى وجد سبيلا إلى هجاء الفرزدق من جهة رهطه مجاشع، وصولا إليه من دارم، ووفق جرير في ذلك كل التوفيق، وحالفه النجاح في كل طور، نلاحظ أن جريرا يجد من جهة مجاشع ودارم ثلاثة معان يهجو بها خصمه الفرزدق وهي:

1 – جعثن، أخت الفرزدق

2 – القيون

3 – الغدر بالزبير بن العوام

والجدير بالذكر أنه كلما يهجو جرير الفرزدق يعتمد على هذه المعاني الثلاث من جهة النسب، وعلى الأيام من ناحية التاريخ، فنرى نقائض جرير كلها أو جلها مليئة بها، اذ أنها أشد إيذاء و إيجاعا للفرزدق من لذع العقرب، ولما أننا نجد المعاني الثلاث متكررة في نقائض جرير كلها فلذا يجمل بنا أن نفصل فيها القول حتى لا نحتاج إلى إعادتها مرة بعد أخرى، وإن كانت كتب النقد الأدبي وغيرها من الكتب (نحو نقائض جرير والفرزدق لأبي عبيدة، والهجاء والهجاؤون لطه حسين، وتاريخ النقائض لأحمد الشايب) مليئة بذكرها:

1 – كانت للفرزدق أخت عفيفة مسلمة صالحة، تسمى (جعثن) فحدث معها إن جاور غالب طلبة بن قيس بن عاصم بالسيدان، وكانت لطلبة بنت يقال لها (ظمياء) كانت تتحدث إلى جعثن، و ود الفرزدق أن يتحدث معها، وترصد لذلك حتى فرصة ذهبية لم يشأ أن يضيعها، وذلك أن جعثن شغلت عن ظمياء ذات ليلة، حتى لم يبق فيحسابها أنها ستجئ، وكان عند جعثن جرس أو جلجل كلما اتت ظمياء صفقت به، وكأنه كان مؤذنا لها بالدخول، فلما شغلت جعثن تلك الليلة، واتفق أن جاءت ظمياء، حمل الفرزدق الجلجل وحركه إيذانا لها بالدخول، فدخلت في الخباء فخالج نفسها ان الشخص الذي يتراءى لها ليس جعثن بل انه الفرزدق، فخرجت من الخباء صائحة هاتفة بالناس، ولم يلبث أن ذاع أمرها بين الناس فاجتمع ناس من رهطها، واجمعوا على أن يسيئوا إلى جعثن جزاء لها

بما حدث في خبائها من اهانه لبنت من بنات رهطهم فالتفوا حول خباء جعثن ثم اخرجوها منه وسحبوها ليسمعوا بها، وهذه خلاصة القصة فلما بلغ ذلك جريرا جعله عاملا قويا لإهانة خصمه (الفرزدق) وأضاف إلى القصة عناصر أخرى مثلا يقول:

اتمدح يا ابن القين سعدا وقد جرى لجعثن فيهم طيرها بالاشاتم

وتمدح ياابن القيس سعدا و قد ترى أديمك منها واهيا غير سام

فان مجر جعثن ابنة غالب وكير جبير كان ضربة لازم

هكذا جعل يخزي الفرزدق ويهينه ويؤذيه ايذاء شديدا من ناحية هذه القصة، وقد اختلق في ذلك امورا لا تتصل بها على الاطلاق، وانما هي قذف واتهام، ونظرا إلى مثل هذه الاتهامات الكاذبة، والقذف والتشنيع يمكنني أن اقول: كان كل منهما عدوا لدودا للآخر، خلافا لما يدعي المؤرخون والنقاد من انعقاد الصلة الودية بينهما، ويقولون: إن مثل هذه المناقضات بينهم لم تكن تقوم الا لقصد المنافسة الأدبية والبلوغ إلى غاية فينة، ويحتجون في ذلك بما روي عن أبى عبيدة بن المثنى أنه قال: إن جريرا والفرزدق خرجا إلى الرصافة مرتدفين على ناقة، قاصدين هشام بن عبدالملك، وفي الطريق نزل جرير لقضاء حاجته فضجرت الناقة لتاخره، واخذت تلوي عنقا يمينا و شمالا، فضربها الفرزدق وقال:

الام تلفتين وأنت تحتي وخير الناس كلهم أمامي

متى تردي الرصافة تستريحى من التهجير والدبر الدوامي

وقال الفرزدق في نفسه: الآن يجئ جرير فانشده البيتين، فيقول:

تلفت، انها تحت ابن قين إلى الكيرين والفاس الكهام

متى ترد الرصافة تخز فيها كخزيك في المواسم كل عام

فجاء جرير ورأى الفرزدق يضحك، فقال: ما يضحكك ياابن فراس؟ فأنشده بيتيه الأولين فرد جرير بالبيتين الآخرين فقال الفرزدق:

والله قد قلت هذا، فقال جرير أما علمت أن شيطاننا واحد.[105] فالاحتجاج بهذه الرواية على أن صلتهما ودية لا أراه صحيحا، فإنه يمكن أن يكون قد وقع أمرهما قبل قصة جعثن، كيف، قد رأينا جريرا يمعن في الفحش و القذف، ويهتك عرض أخته وأمه،

[105]. يراجع للتفصيل تاريخ النقائض لأحمد الشايب

وكيف يصبر الانسان على القذف والفحش، والسباب والشتم في شان أخته أوأمه ولو كان فاسقا فاجرا، فاحشا في القول والعمل، وانغمس في الآثام والمعاصي إلى ذقنه.

2- للنقائض عناصر وعوامل متعددة كما مرت، ولكننا حينما ندرس النقائض فيبدو لنا أنه ليس لها إلا عامل واهد كأنه قد انحصرت فيه جميع العوامل والعناصر، وهو ما يتصل بانساب القبيلة، فذلك هو الشيئ الوحيد الذي يبني عليه أن يقوم صرح فخرهما وهجائهما، فنرى ان الفرزدق يلح على هجاء عطية الخطفي– والد جرير – والاكثار من تقديمه فيصور ساخرة تثير الضحك، من جريانه مرة وراء الحمى، ورعيه الأغنام مرة أخرى وهو يصوره بهذه الصورة الساخره:

تركنا جريرا وهو في السوق حابس عطية هل يلقى به من يبادله

فقالواله: رد الحمار فإنه أبوك لئيم رأسه وجحافله

المراد بالجحافل هنا جماعة القمل التي التفت مجتمعة في رأس عطية. أما جرير فإنه يسخر من الفرزدق بأنه قين أوابن القيون. وما هى قضية القيون؟ يرجع أصلها إلى صعصعة جد الفرزدق فانه كان يقتني عبدا كان في الأصل قينا يسمى (جبيرا)، فتهكم جرير من هذه الناحية بالفرزدق وصوره بأنه قين أوابن قين، تارة يسميه قينا، وتارة أخرى يصم أياه بهذا العار فيسميه قينا ويدعو الفرزدق بابن قين، حتى كأنه لم يعد للفرزدق من سمة غيرها، يقول جرير (ينسب اباه غالباإلى القين):

تلاقي بنات القين من خبث مائه ومن وهجان الكير سود المعاصم

ومن أواخر أبيات لنقيضة جرير:

قفيرة من قن لسلمى بن جندل أبوك ابنها بين الأمام الخوادم

قد ذكرأبو عبيدة خلال شرحه لهذا البيت أن المراد بجندل المجبر بن نهشل بن دارم (أحدافراد رهط الفرزدق)، وقفيرة هي ام جد الفرزدق صعصعة بن ناجية بن عقال، وام فقيرة المذبة وليدة كسرى وهبها لزرارة بن عدس بن دارم فوهبها زرارة لابنة اخيه يرثي ابن عدس وزوجها مرثد بن الحارث، فساعاها اخوه سكين بن الحارث، فجاءت بقفيرة حميلة فتزوجها ناجية بن عقال على أنها من عبدالله بن دارم،[106] ونعاها جرير على الفرزدق في البيت الذي مر آنفا:

[106]. الهجاء في صدر الأسلام لمحد حسين، ص25

3 – بقي معنى ثالث، وهو الغدر بالزبير بن العوام رضي الله عنه، وتفصيله انه وقعت بين عائشة وبين علي رضي الله عنهما معركة الجمل، وكان الزبير بن العوام رضي الله عنه مع عائشة في تلك المعركة، فلما أنتهت المعركة أراد الزبير ان يرجع إلى المدينة المنورة، فشد الرحل إليها، وبينما كان في الطريق اذ مربه الأحنف بن قيس زعيم تميم (وكان مع علي) فجاء رجل إلى الأحنف: وقال هذا الزبير بن العوام قد مر آنفا، فقال: ماالصنع به؟ جمع بين فئتين من المسلمين فقتل بعضهم بعضا. ولما راها لزبير لم يأمنه وخاف أن يقتلها نصاره فجاء إلى النعر بن الزمام المجاشعي (وهذا ماالفت إليه الأنتباه بما أن جريرا تناوله بالهجاء لهذه القصة) واستجاره فلم يجره أوأجاره ولكن لم يرع جواره ولم يف بوعده. و ثلاثة من مناوئيه، وقد سجل التاريخ اسماءهم وهم عمرو بن جرموز وفضالة بن حابس ونفيع بن كعب السعديون، وكانوا مع علي في معركة الجمل، وكانوا على المرصاد يترقبونه، فلما خرج الزبير راجعا إلى المدينة اتبعوه مترسمين خطاه، متقفين اثاره حتى لما جاء وادي السباع الذي يقع بين مكة والبصرة لحقوه فجعلوا يسيرون خلفه مختفين، يرصدون فرصة يضربونه فيها ضربة رجل واحد، واتفق من سوء حظهم ان راهم الزبير فحمل عليهم حملة دفعتهم إلى الفرار والانهزام، فاتبعهم الزبير حتى لحق بابن جرموز فخر بين يديه و سأله العفو متضرعا قائلا: أنشدك الله يا ابا عبدالله! فعفاعنه الزبير وسار على طريقه، فهذا ابن جرموز سار خلفه مرة ثانية، وأما صاحباه (فضالة ونفيع) فرجعا إلى رحلهما وكان آمنا من أن يراه أحد، وكانت الليلة مقمرة، فكان من الميسور له ترسم خطاه، فلما راى ان قد غشي الزبير نعاس وغفوة طعنه بالرمح طعنة اسقطته عن فرسه، فسقط منه صريعا، وأما ابن جرموز فقد حمل سلبه مستبشرا بذلك وحضر به إلى علي بن طالب رضى الله عنه، فلما رأى سيف الزبير ودرعه عرفهما وسأله القصة فلما سمع بقتله بيده استشاط غيظا و غضبا وجعل يلعنه لعظيم مكانته وجلائل خدماته في الإسلام وفضائله التي سمعتها أذناه عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وخلال دراستنا لقصة الزبير هذه نلاحظ أن النعر المجاشعي لو لم يغدر به و أجاره ووفى بوعده، ولكنني في الواقع أعبر عما كان جرير يتوهم، ولأجله يهجو الفرزدق، ولما بلغ قريشا نبأ وفاته غضبت على المجاشعي– و رهطه – لغدره بالزبير الذي كان أحد أبناء قريش حيث ينتهي نسبه إلى بني أسد بن عبد العزى من قصي بن كلاب، وامه صفية بنت عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوافقهم جرير ووقف معهم وهجا مجاشعا لغدر أحد ابنائها بالزبير الصحابي رضى الله عنه، وقد بالغ وشنع جرير تشنيعا أفحم شاعرهم (الفرزدق) واخرسه. ومثل المعنيين السابقين تكرر هذا المعنى أيضا في نقائض جرير، حتى كأنه لم تعد للفرزدق ألا هذه السمات الثلاث التي يغمزه بها فينة لأخرى ونجد في نقيضته هذه ذكرها أيضا، حيث يقول:

رأيتك لا توفي بجار أجرته ولا مستعفا عن لئام المطاعم

فما وجد الجيران حبل مجاشع وفيا ولا ذا مرة في العزائم

ولامت قريش في الزبير مجاشعا ولم يعذرا من كان أهل الملاوم

وقالت قريش: ليت جار مجاشع دعا شبثا أوكان جار ابن حازم

شبث: شبث بن ربعي بن رباح بن يربوع، وابن حازم: هو عبدالله بن حازم السلمي صاحب خراسان.

ولو حبل تيمي تناول جاركم لماكان عرا ذكره في المواسم

تيمي: تيم الرباب بن عبد مناة بن اد بن طابخة من مضر.

وإذا نزلوا نجدا مسعتم ملامة بجمع من الاعياص أوآل هاشم

الاعياص: من أمية الاكبر وهم العاص وابو العاص والعيص وابوالعيص.

احاديث ركبان المحجة كلما تأوهن خوصا داميات المناسم

ويلاحظ أن قريشا كانت تميل إلى جرير و تجتمع حوله زاهدة في الفرزدق و ذلك لموافقة جرير أياها في هذا الامر. وغدر مجاشعي بالزبير القرشي وتاييد قيس – وهم أخوال جرير – ابنه عبدالله بن الزبير فيما اراد من انشاء حكومة قرشية. وههنا تبلغ قصيدة جرير نهايتها.

الآن وقد فرغنا من دراسة مقومات النقائض وما يتصل بها من أمور يطيب لنا أن نورد ما تحمل قصيدة كل من جرير والفرزدق من خصائص وميزات بارزة.

إليكم خصائص نقيضة الفرزدق أولا:

1 –إكثاره من الفنون والأيام ووصف الطبيعة والرحلة التي أدت إلى طول القصيدة حتى بلغ عدد أبياتها 155، ومن هذه الفنون النسيب والمدح والهجاء والفخر، بينما نرى أن قصيدة جرير أنه لا تشتمل إلا على 84 بيتا، لعدم إكثاره الفنون، اذ لم يتعرض لمدح سليمان الخليفة أوالحجاج ولم يتصد لقتيبه فاسفر ذلك عن انه لم تطل قصيدته.

2 – فخامة الأسلوب، وقوة الأسر، لغلبة الفخر عليه، ولطبع الفرزدق الغليظ، فكان لموضوعه و شخصيته تاثير في ذلك، في حين أن جريرا أرق طبعا، وأشد سفها، فكان أوجع و الدغ في هجائه، وخاصة في النسيب والسباب، بينما نرى في نسيب الفرزدق ضخامة.

3 – يتناول الفرزدق كلمات غريبة شاذة، وربما يخالف قواعد النحو فنلاحظه عنده بعض أخطاء نحوية، وتعقيدات أدت إلى الشذوذ والغموض في أبياته.

4 – يغلب على الفرزدق الفخر فلذا لم يتورط في البذاء ولم يمعن في الفحش كما صنع جرير لغلبة الهجاء والسباب على طبعه، وشدة سفاهته ودقة حسه و كثرة أعدائه و خصومه.

أما خصائص قصيدة جرير فهي:

1 – قصر القصيدة وإكثار الفنون والأيام كما مر.

2 – سلاسة الاسلوب ورقته وسلاسته، لدقة حسه ورقة طبعه و شدة تأثره بالإسلام، وخاصة في النسيب.

3 – براعته في الهجاء وقد تقدم تفصيل ذلك أثناء دراسة الأبيات.

3 – احتجاجه بالدلائل القوية، والحقائق التاريخية وقوة عارضته، واعتماده على خياله – ولو كان كذبا – وتوسعه في أفقه، وإغراقه في الهجاء.[107]

نقائض جرير والأخطل

ألف أبو تمام في هذا الموضوع كتابا سماه: نقائض جرير والأخطل، فيها عشرون نقيضة:

حياة الأخطل في سطور:

غياث بن غوث المعروف بالأخطل، المكنى بأبي مالك، من مواليد حيرة سنة 20هـ (المصادف 640م) ينتهي نسبه إلى تغلب، وتغلب من بني عمر بن الفدوكس بن عمرو بن مالك بن جشم. ينتمي اصلا إلى قبيلة اياد، ولد نصرانيا ومات نصرانيا. الأرجح ان اسمه غياث كما في (الأغاني) للأصفهاني، و (المؤتلف والمختلف) للآمدي و (طبقات فحول

[107]. تاريخ النقائض، ص348

الشعراء) لابن سلام الجمحي و (الشعر والشعراء) لابن قتيبة، ولكن البغدادي يرجح في كتابه (خزانة الادب) ان اسمه غويث. نشأ و ترعرع في حيرة، وقال الشعر منذ صباه، وسمي بالأخطل لقوله الفحش والخطل[108]31- وكانت زوجة أبيه تدعوه بـ "دوبل" (اى ولد الخنزير) لسبابه وتفحشه في القول، والبغدادي يقول: سماه جرير بهذا اللقلب (دوبل) حيث يقول:

بكى دوبل، لا يرقأ الله دمعه ألا أنما يبكي من الذل دوبل

كان خامل الذكر قبل وصوله إلى بلاط الخلفاء الأمويين، والذي أدى إلى اتصاله بهم ان عبدالرحمن بن حسان الانصاري شبب برملة اخت يزيد بن معاوية فساء ذلك يزيد و سأل كعب بن جعيل أن يهجوه و قبيلته (الانصار) فخاف ان يحبط عمله و يضيع إيمانه فدله على الأخطل الذى كان مسيحيا لا يخاف الله ورسوله ولا يبالى بالإيمان شيئا فهجا عبدالرحمن الانصاري و قومه (الانصار) قائلا:

خلواالمكارم لستم من اهلها وخذوا مساحيكم بني النجار

ذهبت قريش بالمكارم كلها واللؤم تحت عمائم الانصار

وخلفه بعد وفاته عبدالملك بن مروان، فظل متصلابه حتى لقبه بشاعر بني امية و شاعر أميرالمؤمنين، وبعد ما اسندت الخلافة إلى الوليد بعد وفاة عبدالملك، غض من مكانته وحط من قدره، فقلل الأخطل مدحه. هذا، وكان عرضة لأهاجي جرير، فخارت عزيمته، وضعفت همته، واسترخت مفاصله فلم ينشب ان فارقت روحه جسمه سنة 92ه (المصادف 710م) وقد نيف عمره آنذاك على سبعين عاما.

قال الشعر في معظم الفنون، من المدح والهجاء والفخر والوصف (وخاصة وصف الخمر) وامتاز في فني المدح والهجاء، وكان يهذب الشعر مثل زهير بن ابي سلمى ويسلك مسلكا لأعشى في خمرياته، فهو رجل الخمريات، تناول الخمر فوصفها وصفا ميزه عن سائر شعراء عصره.

مبعث التهاجي بين جرير و الأخطل:

وأما مبعث التهاجي بين جرير والأخطل فقد مر شيئ منه بغاية من الإيجاز، وذكره محمد ابن سلام الجمحي في طبقاته بالتفصيل، خلاصته انه حين بلغ الأخطل تهاجي جرير والفرزدق قال لابنه مالك: انحدر إلى العراق حتى تسمع منهما و تأتينى بخبرهما، فنزل مالك بن الأخطل سوق الشعر في مربد البصرة واستمع إليهما، واتى اباه

[108]. نقائض جرير والفرزدق، ص1048

وقال: جرير يغرف من بحر، والفرزدق ينحت من صخر. فقال الأخطل: فجرير أشعرهما، وقال يمدحه:

إني قضيت قضاء غير ذي جنف لما سمعت ولما جاءني الخبر

إن الفرزدق قد شالت نعامته وعضه حية من قومه ذكر

وعندما نزل الأخطل إلى الكوفة وافدا على بشر بن مروان، تداركه رهط الفرزدق بالهدايا والتحف، بعث بها إليه شبة بن عقال المجاشعي، وأوعز إليه ان يتراجع عن حكمه السابق، وأن يفضل الفرزدق المجاشعي على جرير اليربوعي، ويسبه، فاستجاب الأخطل فقال:

قوم إذا خطرت عليك قدومهم جعلوك بين كلاكل وجران

وإذا وضعت اباك في ميزانهم رجعوا وشال ابوك في الميزان

فقال جرير قصيدته المشهورة، مطلعها:[109]

لمن الديار ببرقة الروحان اذ لا نبيع زماننا بزمان

ومنها:

يا ذا العباية! ان بشرا قد مضى ان لا تجوز حكومة النشوان

فدعواالحكومة لستم من اهلها ان الحكومة في بني شيبان

قتلواكليبكم بلقحة جاره يا خزر تغلب! لستم بهجان

كذب الاخيطل، أن قوي فيهم تاج الملوك وراية النعمان

القصائد التي قالها جرير والأخطل، مناقضا أحدهما للآخر يبلغ عددها عشرين كما قال ابو تمام في كتابه (نقائض جرير والأخطل) ندرس نقيضتين بشيئ من التفصيل، فإليكم إياهما:

1 – يبدأالأخطل قصيدته على النحو التالى:[110]

خف القطين فراحوا منك أو بكروا وازعجتهم نوى في صرفها غير

وناقضه جرير بقصيدته التي مطلعها:[111]

[109]. شرح ديوان جرير، ص647

[110]. ديوان الأخطل، ص 301

قل للديار سقى اطلا لك المطر قد هجت شوقا فماذا تنفع الذكر

يبدأ كل من الأخطل وجرير قصيدته بالنسيب، ويطيله كما يصنع الشعراء القدامى فقال كلاهما عددا بالغا من الأبيات حول النسيب في قصيدتيهما، وهناك خصائص في نسيب الأخطل تميزه عن خصمه وهي أنها اجتمعت في نسيبه اساليب زهير والأعشى وعبيد بن الأبرص، فانه حينما يصف الخمر فيسلك مسلكا لأعشى، فيصف كرمها و عتيقها، كأسها و ناديها، حانوتها و نديمها، سكرها و مرارتها، ثم يضيف إلى ذلك ما يحتمل من لوعة وما يصيبه من سحر، وحينما يصف حبيباته اللاتي يغادرن إلى بلاد، فيصور منظر سفرهن و فراقهن و يتتبعهن كما كان زهير يصنع، وكلما وصف النساء راياناه يقلد عبيد بن الأبرص، و يحاكيه بل يحذو حذوه في تصوير طبيعتهن وعبثهن بالرجال، كما اننا نلاحظ انه لا يمتزج بنسيبه فن آخر من الهجاء والفخر. نسيبه محكم العبارة، جيد الصورة، حسن الديباجة، كثير الأوصاف والتشبهيات، حسن الفكرة، قويها. يقول:

وقعن اصلا وعجنا من نجائينا وقد تحين من ذوي حاجة سفر

إلى امرئ لا تعرينا نوافله اظفره الله، فليهنا له الظفر

هذا، وإذا أمعنا النظر في نسيب جرير وجدنا انه يحاكي مذهب الشعراء الأقدمين، فيتذكر الأيام التي قضاها معهن، ويبكي على فراقهن، ويقف على الاطلال، ويسائلهن فلا تجيب شيئا فترقرقت في عينيه عبرات لم يستطيع أن يكفكفها، يصور منظر فراقهن، ينظر إليهن من بعيد يودعهن حزينا مكتئبا عاجزا، و لكن لم يتبعهن كما فعل الأخطل، كان جرير كما قدمنا أرق حسا و طبعا، فاثرت رقته هذه في نسيبه، فجعلته مليئته بالحزن والكآبة:

إن الفؤاد مع الظعن التي بكرت من ذي طلوح حالت دونها البصر

قالوا: لعلك محزون فقلت لهم خلوا الملامة لا شكوى و لا غدر

والملاحظة أنا الأخطل ذكر الراحلات عن الديار، ولكن جريرا اهتم بذكر الديار والاطلال إلا أن كليهما ذكر سبب الرحلة ومكانها، ثم انفرد جرير بالاطلاع على أوانها دون الأخطل:

فقال الأخطل:

---

111. نقائض جرير والأخطل، ص 248

خف القطين فراحوا منك أو بكروا وازعجتهم نوى في صرفها غير

ليس ههنا تعيين أوان الرحلة، أما جرير فانه قال مؤكدا به:

نادى المنادي بين الحي فابتكروا منا بكورا فما ارتابوا وما أنتظروا

ويقول: ماذا يغنيني البكاء؟ وماذا ينفعني تزراف الدموع وابداء القلق والكآبة؟

حاذرت بينهم بالامس اذ بكروا منا وما ينفع الاشفاق والحذر

ومر من قبل أن نسيب الأخطل خال من الهجاء وغيره من الفنون خلافا لجرير فانه ضمنه الهجاء حيث يقول:

هل تبصران حمول الحياذ رفعت حيا بغير عباء الموصل اختدروا

يهجو جرير في هذا البيت الأخطل وقومه لعدم إلباسهم المسافرات عباء الموصل الذي كانوا انفسهم يرتدون به.

ويدل على براعة جرير اقتباسه شطر الأخطل: (يا بعد منظرهم الذي نظروا). الذي استخدمه الأخطل كالنسيب، واستعماله في موقع الهجاء والتهكم، والاستهزاء السخرية. إذا كان الأخطل يمتاز بإحكام العبارة، وتجويد الصورة، وتأكيد الفكرة و تنسيقها فان جريرا يمتاز عنه برقة الاسلوب، وجمال الطبع، وشدة التاثر، وجزع الجازع، وسرعة الاضطراب. وبعد ما أنتهى الأخطل من النسيب بدا يمدح الخليفة وبني أمية، وهو شاعر البلاط الأموي بمعنى الكلمة، بينما تخلو نقيضة جرير من مدحهم. وما هو أسلوب الأخطل فيمدح الخليفة وبني امية؟ لنستمع إلى ذلك بلسان مؤرخ ناقد معاصر: جمع في مدحه بين مذهبين:

1 – جاهلي قديم معروف وهو المدح بالكرم، والشجاعة، والحزم، ومضاء العزيمة مستخدما في ذلك صورا وعبارات بيانية محكمة من كناية، وتشبيه، وتفريع، استعارة.

2 –اسلامي يتصل بالخلافة، وحسن السياسة، واخضاع الثائرين، وسعة السلطان، وتدبير الفتوح، وقد ظهر المذهب الثاني في ظل هذه الكلمة "امير المؤمنين". أما مدحه بني امية فقد ظهر فيه الطابع الإسلامي أكثر، فهم أسرة ملكية يحفون بعبد الملك،، ويرجعون إلى محتد كريم، يجتمعون على الحق، اظهار صبر، حسنوا الحيلة، ذوو حظ جليل، لم يبطروا بهذاالملك بل احاطوه بالرهبة وفضائل الشيم،[112] وامتاز الأخطل في

[112]. نقائض جرير والأخطل، ص166

مدحه ايضا لاسلوبه الرصين المحكم الجزل، وبرع في تصوير البلاط الأموي ووصف خصائص الامويين، من نفود البصر، ودقة النظر، والهمة، وسمو العزيمة، والعصبية العربية، والحزم، فهو في المدح انجح واشعر وأوفق من جرير والفرزدق، وأما مدح جرير فهو اشبه بالفخر، مثلا يقول في مدح قريش والانصار ردا على بيت الأخطل الآتي الذي اختار فيه بني أمية على الانصار:

اعطوا خزيمة والانصار حكمهم والله غزر بالأنصار من نصروا

لعل المراد بخزيمة مضر.

ويقول الأخطل في مدح بني امية: أنني ذدت عنكم معشر بني أمية الانصار:

بني أمية قد ناضلت دونكم أبناء قوم هم أووا وهم نصروا

ومن ثم نرى الأخطل يذكر بني أمية لميله إليهم، ويقاتل الانصار بقلمه ولسانه ذبا عن اعراض بني امية وفرارا بهم من حملاتهم وصولاتهم، ويمتن عليهم بانه أفحم الانصار والجمهم الجاما اثبط عزيمتهم، واضعف همتهم، وحط من مكانتهم، مصداقا للمثلين اللذين يقولان: "جرح اللسان أنكى من جرح السنان" و "قول أنفد من صول".

افحمت عنكم بني النجار قد علمت عليا معد وكانوا طالما هدروا

حتى استكانوا وهم مني على مضض والقول ينقذ ما لا تنقذ الابر

وبعدئذ ينصح الأخطل بني أمية إلا يأمنوا قيسا وزعيمها زفر، ويحسبوه عدوا لهم لانهم بمنزلة ضب يخدع مطارده وصائده، وهو يظن انه لم ينخدع، يدخل من النافقاء، ويخرج من القاصعاء، وهولا يدري انه خرج الضغينة تملأ صدره، والحقد يعمر ذهنه، والشحناء تغشى قلبه. انه سيئى الخلق، يظهر شيئا ويكتم شيئا آخر:

بني امية اني ناصح لكم فلا يبيتن فيكم امنا زفر

واتخذوه عدوان شاهده وما تغيب من أخلاقه دعر

إن الضغينة تلقاها وان قدمت كالعير يمكن حينما ثم ينتشر

ثم يذكر الأخطل كيف غدرت القيسية ببني أمية يوم المرج فاعانهم تغلب و كيف قتل عمير بن الحباب يوم الحشاك، حتى خضعت القيسية للخليفة الأموي عبدالملك حذرا من بطشه القوي، وخوفا من مهابته وجلاله:

وما سعى فيهم ساع ليدركنا الا تقاصر عنا وهو منبهر

وقد أصابت كلابا من عداوتنا أحدى الدواهي التي تخشى و تنتظر

وهنا يذكر جرير في نقيضته أيام تميم من طخفة، وذي نجب، والاياد، وذي بهدا، والبشر، وماكسين، الثلاث الأخيرة نشبت بين تغلب وتميم أو قيس فانهزم فيها تغلب، وأما الثلاث الأول فقد كانت بين يربوع وغيرهم فأنتصر فيها يربوع، وهي رهط جرير يقول:

أنا بطخفة أوايام ذي نجب نعم الفوارس لماابتلت العذر

لو لا فوارسنا فوارس يربوع ذى نجب ضاق الطريق وأعيى الورد والصدر

ان طاعنوا الخيل لم يشووا فوارسها أو نازلواالأبطال فاهتصروا

هل تعرفون بذي بهدا فوارسنا يوم الهذيل بأيدي القوم مقتسر

فما منعتم غداة البشر نسوتكم ولا صبرتم لقيس مثل ما صبروا

وبعد ما ينتهي جرير من ذكر الأيام يفاخر الأخطل بانتمائه إلى قيس وخندف اللتين ينتهي نسبها إلى مضر قوم الرسول صلى الله عليه وسلم، منهم قريش الذين جعل الله فيهم الخلافة والنبوة وبعث فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم الصادق المصدوق بدين الإسلام الكامل، أما الديانات الأخرى فهى ناقصة محرفة باطلة سواء كانت يهودية أو مسيحية، يقول جرير:

قيس وخندف اهل المجد قلبكم لستم إليهم ولاأنتم لهم خطر

يحمي الذين ببطحاوى منى حسبى تلك الوجوه التي يسقي بها المطر

ماعد قوم وان عزوا وان كرموا الا افتخرنا بحق فوق ماافتخروا

نرضى عن الله، ان الناس قد علموا ان لن يفاخرنا من خلقه بشر

وما أدى إلى مفاخرته الأخطل لقرشية نسبه ان الأخطل مدح في قصائده قريشا لانها قبيلة عبدالملك بن مروان، مثلا يقول:

في نبعة من قريش يعصبون بها ما إن يوازى بأعلى نبتها الشجر

وتحتدم المعركة الأدبية، ويحمي وطيسها، وتميل شيئا فشيئا إلى القومية، ولا أغالى إذا قلت: انصهرت في بوتقة العصبية القبلية الجاهلية، فهذا الأخطل يشير على قيس – حلفاء جرير – بالخروج من جزيرة العرب قائلا:

فاصبحت منهم سنجار خالية والمحلبيات فالخابور فالسرر

كروا إلى حرتيهم يعمرونها كما تكر إلى أوطانها البقر

فالتفتوا وهم يجنون حنظلهم إلى الفرات فقلنا: بعد ما نظروا

فرد عليه جرير بأنه لا تجديد هذه التهديدات اي نفع و تعود عليه بلا طائل، ويموت في جزيرته غيظا و حنقا، ولا يقدر هو و قومه ان يصلوا إلى موطن مضر، واقترح عليهم ان يغادروا النجد إلى حيث يسكنون بهدوء وطمانية دون أن يعترض لهم أحد، وينتاولهم بالهجاء والمحاربة:

موتوا من الغيظ غما في جزيرتكم لن تقطعوا بطن واد دونه مضر

إنى نفيتك من نجد فما لكم نجد ومالك من غور به حجر

ويمكننا إذا نظرنا في أبيات الفخر هذه ان نقضي بأن فخر الأخطل ضعيف ضئيل، ليس فيه روح ولا حيوية، ولا نشاط ولا معنوية، لا يعتمد على أصل ثابت ولا يقوم صرحه على أساس قوي، من المجد، والكرامة، والعز، وسمو النسب.ان فخره عبارة عن الامتنان والاستجداء، ولا غرو فانه شاعر البلاط، لا يمكنه أن يحيد قيد شبر عن ذكر مجد بني امية، والافتخار به طريقهم. أما جرير فهو حر لا يتقيد بهذه القيود. ففخره أجود من فخر خصمه الأخطل.

ولا شك أن جريرا كان يذهب في هذا النوع من الهجاء هذا المذهب انتقاما لنفسه، فالفحش في هجائه مسألة فنية اضطر إليها دون ان يكون في سلوكه فاجرا أو متفحشا أو فاسقا، وقد غلب عليه هذا اللون فاشتهر به وفاز به دون غيره من الشعراء فكان بذلك شاعر الهجاء دون منازع.

ويهجو الأخطل قيسا أخوال جرير، وخاصة بني سليم منها، فرماهم بالغدر والضلال وكفر النعمة حتى نفوا عن الجزيرة:

ولم يزل بسليم امر جاهلها حتى تعايا بهم الايراد والصدر

حتى أصاب سليما من عداوتنا أحدى الدواهي التي تخشى و تنظر

كانوا ذوي أمة حتى إذا علقت بهم حبائل للشيطان وابتهروا

صكوا على شارف صعب مراكبها حضا، ليس لها هلب ولا وبر

ويستمر بنفيهم حتى قيس نفسها ويمتن على الخليفة بقتلهم عمر بن الحباب يوم الحشاك ويصف ما حل به ساخرا شامتا:

يعرفونك رأس ابن الحباب وقد أضحى وللسيف في خيشومهاثر

لا يسمع الصوت مستكا مسامعه وليس ينطلق حتى ينطلق الحجر

يسأله البصر من غسان إذا حضروا والحزن: كيف قرأ كالغلمة الجشر

ثم يتناول زعيما آخر من قيس (وهو زفر) بالشماتة والتهكم، ويسرد نفاقه، وسوى خلقهكما تقدم:

بني أمية اني ناصح لكم فلا يبيتن فيكم امنا زفر

فلما رأى جرير أنه سخر من هذين الزعمين أراد أن يغيظه بمدحها، وذكر شجاعتهما و بطولتهما، وعيره بأن قومهما لما شنوا على قبليتك غارة انهزمت، وقلت في نفسي: انه لا يبق لها عين ولااثر:

إني رأيتكم والحق مغضبة تخزون أن يذكر الجحاف أو زفر

قوما يردون سرح القوم عادية شعث النواصي إذا ما يطرد العكر

قادوا إليكم صدورالخيل معلمة تغشى الطعان وفي اعطافها زور

كانت وقائع قلنا لن يرى ابدا من تغلب بعدها عين ولااثر

ويبطل جرير ما ادعى الأخطل عن قيس من الغدر والضلال في قوله:

ضجوا من الحرب اذ عضت غواربهم وقيس عيلان من اخلاقها الضجر

ما ان سعى منهم ساع ليدركنا الا تقاصر عنا وهو منبهر

فأبطل جرير دعواه وفند حجته و أشار عليه بأن يسكت فإن يسكت فإن الصمت خير له من النطق فإنه كلما نطق ظهرت سوءته، ونصح قومه بالعدوان عن هجاء قيس و محإذاتهم:

هلا سكتم فيخفى بعض سوءتكم اذ لا تغير في قتلاكم غير

فما منعتم غداة البشر نسوتكم ولا صبرتم لقيس مثل ما صبروا

تهجون قيسا وقد جذوا دوابركم حتى أعز حصاك الأوس والنمر

وفي جانب آخر نرى الأخطل قد ضيقت عليه نصرانية، في حين ان جريرا وسع عليه إسلامية، وبمعنى آخر أن جريرا كان شاعر مضريا، وقبيلة مضر أصل قريش،

وهي قبيلة النبوة، ومنها بيت الخلافة الذي يستظل الأخطل بظله وينال فيئا من فيئه، وهو الذي يحميه وقومه، ولهذا لم يستطع الأخطل ان يهجو جريرا من هذا المجانبين، في أن جريرا فخر عليه بمضريته وبالنبوة والخلافة، وهجاه بنصرانية، وحرمان قومه، ومكارم السلطان والإسلام وهيبة السلطة والحكم. وخارج إطار السفاهة والتفحش فان نقائض جرير والأخطل، في قسم كبير منها، تدور في فلك الهجاء الجاد الذي يتمحور حول سلب المكارم والفضائل، وبسبب ذلك نرى كيف تتشابه المعاني لدى كل من الشاعرين. يقول الأخطل:

أماكليب بن يربوع فليس لها عند التفارط ايراد ولا صدر

مخلفون ويقضي الناس امرهم وهم بغيب وفي عمياء ما شعروا

الآكلون خبيث الزاد وحدهم والسائلون بظهر الغيب ماالخبر

فقوم جرير – كما تصور أبيات الأخطل هذه – قد بلغوا أعلى درجات الذل والهوان، فانهم لقلة حكمتهم لا يشاركون الناس في ارادة الأمور، ولا ينتدبون لشيئ، وقد باتوا تحت "دارم" اخساء، وشكلوا فئة من العيارين السراق، وقد شاع امرهم بين الناس، وخبث طعامهم، وبخلوا على انفسهم وعلى غيرهم، واجلوا عن المجالس والنواوي، ويعتبر هذا النوع من الهجاء اشد مرارة عندالعرب، لأنه يؤكد علة العيوب الخلقية التي يخاف الناس أن تتصل بهم.

خصائص جرير و الأخطل في النقيضتين:

وبعدما أنتهينا من دراسة النقيضتين يجمل بنا أن نوجز خصائص كل من جرير والأخطل في نقيضته فها هي تقدم بين يديكم:

1 – لا تختلط عند الأخطل الفنون بعضها ببعض، ويمتاز من خصمه جرير بحسن تقسيم القصيدة و تنسيقها، وبإحكامها، وتجويذ صورتها. وقصيدة جرير يشينها الاضطراب وامتزاج الفنون بعضها ببعض فنسيبه يتضمن الفخر طورا، والهجاء طورا آخر.

2 – أسلوب الأخطل محكم، رصين، جزل، جيد الصورة، منسق الفكرة، قويها، تتنوع عنده التشبيهات والأوصاف، موفق في اختيار الألفاظ كل التوفيق، بل الحق أنه ليس له مثيل في هذاالمجال، يركز المعاني تارة في البيت الواحد بأخذ خيرها وانسبها، وإذا ما وصف الخمر سلك مسلك الأعشى، ووصفها ذاهلا سكرا، بينما كان أسلوب جرير عاديا، يمتاز بجمال الطبع، ورقة الأسلوب وشدة التأثر إلا أنه يكون خفيفا، يقتضب

المعاني، ولا يستخدم صورا كثيرة، تختلط بنسيبه أشياء جديدة من الدعاء والجدل والتقدير، فيدب إليه ضعف ويتطرق إليه عدم احكام، ويتصنع الأخطل حينا فيضفي ذلك على شعره جزالة ورصانة، ويزيده رونقا ونضارة، إلا أن قوة التفكير و ضعف العاطفة يؤثر كلاهما في أسلوبه الشعري وموسيقاه.

3 – أكثر الأخطل استعمال الفنون في قصيدته، فنراه يتناول النسيب حينا، والمدح حينا آخر، ويهتم بالخمريات تارة ويعني بالفخر والهجاء تارة أخرى، أما جرير فيمتاز عنه بقلة الفنون، فليس عنده الا النسيب والفخر والهجاء.

4 – أثرت الحياة الإسلامية في شعر كل منهما، اذ كانت الحكومة الأموية من قبيلة قريش، وقريش كما ذكرنا قبيلة النبوة، والأخطل شاعر هذه الحكومة، فلم يستطع أن يهجو جريرا من ناحية اتصاله بمضرية وإسلامه فضعف جانب الهجاء في شعره، ولكن جريرا عد نفسه حرا لكون خصمه نصرانيا، كما أن العصبية القبيلية، والحروب بين قيس وتغلب، والاحزاب السياسية من العناصر التي ساعدت في إشعال نار المناقضة بينهما.

هذا، واننا نرى أن كليهما تأثر بالقران الكريم، قليلا كان أوكثيرا، أما جرير فكان أشد تأثرا به من خصمه لإسلامه، ورقة طبعه، والأخطل يتناول لتأثره بالقران كلمات عديدة منه، نحوالضلالة، والخليفة، والله. أما جرير فإنه يقتبس احيانا فكرة من القران الكريم، مثال ذلك بيته:

كانت بنو تغلب لا يعل جدهم كالمهلكين بذي الاحقاف اذ دمروا

صبت عليهم عقيم ما تناظرهم حتى اصابهم بالصاحب القدر

وذلك قوله تعالى : (وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم. ما تذر من شيئ أتت عليه الا جعلته كالرميم)

5 – قلب معاني الأخطل وردهاعليه ابرز ميزات جرير، وقد تقدم مثاله اثناء دراسة النقيضتين.

6 – جرير يمتاز بالفخر، والأخطل ينفرد بالمدح، وكلاهما سواء في الهجاء والنسيب. إذا كان في نسيب جرير رقة الأسلوب، وجمال الطبع، فاننا نرى في نسيب الأخطل الصنعة و تعدد الصور.

أسلوب جرير جميل خفيف، واسلوب الأخطل محكم، جزل، جيد الصورة، منسق الفكرة.[113]

الموازنة بين أبطال النقائض:

بالموازنة بين جرير والأخطل، ونقائض جرير والفرزدق نتوصل إلى نتائج تالية:

1 – نقائض جرير والفرزدق تتسم بطول عمرها، فإنها استمرت على خمس وأربعين سنة بينما استمرت نقائض جرير والأخطل إلى ثلاث وعشرين سنة وانقطعت بموت الأخطل، والسابقة نتهت بموت الفرزدق بعد ان دامت – كما قلنا – خمسة واربعين عاما. ونجد نقائض كثير لجرير والفرزدق يتجاوز عدد أبياتها سبعين.

كما أن نقائض جرير والفرزدق تتسم بطولها و كثرتها وأبياتها، وقوة فنها، وامتلائها بذكر الأيام والوقائع، وذلك لأن كلا من جرير والفرزدق شاعر فحل، واسع الاطلاع على تاريخ القبائل، وأيامها، وأحداثها، وفضائلها، ورزائلها، ومحاسنها، ومثالها، وامجادها، وانسابها، وغلبة المادة القبلية على ماعداها من العناصر السياسية أوالشخصية.

3 – نقائض جرير والفرزدق مدونة بترتيب وتنسيق واضحين، ولكن نقائض جرير و الأخطل لم يعتن فيها بذلك الترتيب حتى فات بعض القصائد نقائضها.

4 –الدين من العوامل التي لا نجدها الا في نقائض جرير والأخطل فقد ذكرنا ان الأخطل كان نصرانيا، وجرير مسلما. ضيقت على الأول نصرانية، ووسع على الثاني اسلامه، وفي تعبير أوسع، لم يستطع الأخطل ان يهجو جريرا من ناحية دينية، لأن الخلفاء الأمويين – والأخطل شاعرهم – كانوا على ذلك الدين، في حين أن جريرافتخر عليه بإسلامه وهجاه وقومه بنصرانيتهم.

5 – وقرب الشبه بين نقائض جرير والأخطل وبين نقائض جرير والفرزدق في المطابع الأسلوبي، فظاهرة التتبع لمعاني الشعر الأول، والنظر فيها، ومحاولة هدمها، والدقة في هذاالتتبع كثيرا ما نجدها في نقائض جرير والأخطل ايضاكما نجدها في نقائض جرير والفرزدق.

6 - نجد في نقائض جرير والفرزدق الاعتماد على أسلوب الهجاء الساخر في تقديم الصور والمعاني، قد بلغ جرير في ذلك مبلغا عظيما، في حين أن الفرزدق حافظ على فنية عالية في هذاالموضوع، ولا نجد في نقائض جرير والأخطل بتلك الشدة.

113. يراجع للتفصيل العصر الأموي للدكتور قصي الحسين

7 - تفشو في نقائض جرير والفرزدق معاني الفحش والابتذال، والسفاهة والقحة، حتى لتكاد تنبو عن سماعها الآذان. وهذه الفواحش كان كل شاعر منهما يرمي بها نساء الشاعر الآخر دون اي اعتبار ديني أو خلقي.

8 - وربما حدب الفرزدق وجرير في بعض النقائض على بعض المعانى الإسلامية، فاختصا في التناظر بها، فنرى الفرزدق يفخر بنفسه وبقومه، وينسج لنفسه صورة تتصل اتصالا واضحا بأسباب الدين الإسلامي وقيمة ومظاهره، في حين نرى جريرا يعمل على نقض هذه الصورة و تسفيهها، ويكشف بالتالى عن كذب الفرزدق في جميع دعاوى التي يدعيها لنفسه ولقومه، على صعيد التمسك بأهداب الدين والتزي بزي أهله.[114]

[114]. تاريخ النقائض لأحمد الشائب، ص402-404

دراسة فنية لشعره

نلقي نظرة عابرة على الشاعر و أسلوبه الشعري قبل الحديث عن دراسة فنية لشعره فكما نعلم أن جرير بن عطية بن الخطفي اليربوعي ولد سنة 28 أو 30ه (المصادف 649م) في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه. ورث عن أبيه وجده الفقر، وكانت بيئة أسرته شاعرية، ولما ترعرع أدت عوامل سياسية إلى تفتيق قريحته الشاعرية، وأنتقلت سجيته (الشاعرية) إلى أولاده فكان ابنه بلال وحفيده عمار شاعرين معروفين، كانت عشيرة كليب (من بني تميم) تسكن في قرية حجرة (اليمامة) وكانت فقيرة ترعى الحمير. قضى جرير أكثر أيام حياته في هذه البادية ولكنه لما نشبت بينه وبين الفرزدق معارك أدبية غادرها إلى البصرة، وحاربه إلى عشرين سنة إلى أن مات الفرزدق ولم يلبث أن مات جرير أيضا بعد وفاة الفرزدق بستة اشهر وذلك سنة 110ه [115]. كان شاعرالبلاط بمنى الكلمة. مدح بقصائده خلفاء أمويين منهم يزيد بن معاوية والوليد بن عبدالملك ويزيد بن عبدالملك وهشام بن عبدالملك فأغدقوا عليهم المال فعاش عيشة رغدة هنيئة. كان جرير عفيفا في حياته، وكان شاعرا مطبوعا يختار من الكلمات ما هو سهل رقيق، ومن القوافي هو جميل يجذب القلوب، ومن المعاني ما هو خفيف على اللسان، ثقيل على الميزان. يستخدم الكنايات والرموز والتشبيهات والاستعارات قدر ما واينما احتيج إليها. العامة تعجب بكلامه لسهولته، والخاصة (العلماء والأدباء) تعجب بكلام الفرزدق لتعقده وامتلائه بالكلمات الغريبة. وقال مالك بن الأخطل: جرير يغرف من بحر والفرزدق ينحت من صخر.

قبل أن نخوض في الحديث عن الصورة الفنية في شعر جرير ينبغي لنا أن نحدد مفهوم هذه الكلمة ونعرف عن دلالتها في المعاجم العربية، فقد جاء في كتاب العين أن " "الصور هو الميل" أما في لسان العرب فمعناه "الشكل"، أما المراد بهذه الكلمة هي الصفة كما يقال صورة الأمر أي صفته. وهي ركن أساسي وملازم للشعر الأصيل.

أما المفهوم الاصطلاحي للصورة فيقول بعض النقاد أنها بالمعنى الأسلوبي "تجسيد لعلاقة لغوية بين شيئين" ويقول محمد فنيمي هلال في النقد الأدبي الحديث " إن الصورة البلاغية ليست هي المقصود بمصطلح الصورة، فالصورة الفنية بالمعنى الحديث قد تخلو من المجاز، أي إن " العبارات تكون حقيقة الاستعمال، ومع ذلك تكون دالة على خيال خصب"

فعلى سبيل المثال هناك شعر بسيط لجرير مع صورة فنية وخالية من المجاز فقال:

[115]. دائرة المعارف الإسلامية، ج6، ص371، والأعلام للزركلي ج2، ص119

يا أم ناجية السلام عليكم قبل الرواح وقبل لوم العزل

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل

في أبيات المذكورة ليست معان جديدة بس يبلغ السلام لحبيبته ليس أكثر ولكن استطاع ان يصوغ هذه الكلمات شعرا تستهوي قارئها، بأسلوب أدبي رائع.

ولما ندرس شعر جرير نجد أن له صورتين فبعض الأحيان يهجو كثيرا كما في قوله مخاطبا الفرزدق:

حوق الحمار أبوك، فاعلم علمه ونفاك صعصعة الدعي المسبع

وفي جانب آخر نراه إنسان مطمئن، في قوله

أطربت أن هتف الحمام وربما أبكاك، بعد هواك، شجو حمام

فاصطاد قلبك من وراء حجابه، من لا يرى لسنين غير لمام

إن جريرا له مهارة في إخضاء شاعر آخر فنرى كيف إنه هجا الفرزدق و جعله صامتا.فإنه يناقض بقصيدته التي تحتوي على ثلاثة وسبعين بيتا. واستهل القصيدة بالفخر ببني كليب، ويفاخره بأن قبيلة الفرزدق وهم بنواالقين حينما قعدوا يستدفئون بحر الكير فنهض قومه بنو كليب واستبقوا إلى الحرب، وحموا نساءهم، وذبوا عن ديارهم، وقابل أحسابه بأحسابه، وفخر قومه بفخر قومه، وفخر أيامه بفخر أيامه حيث يذكره بأيام الوقيظ وجزع الاطلال، ويعيره بهذا اليوم الذي كان لبكر على بني دارم فيقول:

نحن الولاة لكل حرب تُتقى اذ أنت محتضر لكيرك صالي

هذا من المعروف أن قبيلة الفرزدق شهيرة في علو نسبها، ومآثرها في العرب، بينما نرى أن قبيلة جرير ليس لها مكانة تنالها قبيلة الفرزدق لذلك نرى أنه يفخر بنفسه أكثر مما يصنع الفرزدق حتى سار شعره هذاعنه إلى سائر القبائل:

في ليلتين إذا حدوت قصيدة بلغت عمان وطي الجبال

ماالسيد حينما ندبت خالك منهم كبني الأسد ولا بني نزال

جئني بخالك يا فرزدق واعلمن أن ليس خالك بالغا اخوالى

وكذلك نرى أن جرير سخر من الفرزدق لاقتداء قومه حاجبا لأسره ذي الرقيبة بألف بعير، وعد ذلك آية للخزي والمهانة:

إذا عدت الأيام اخزيت دارما تخزيك يا ابن القين ايام دارم

ألم تعط غصبا ذاالرقيبة حكمه ومنية قيس في نصيب الزهادم

وهذه القصة التي تسمى قصة الرومي أيضا تحمل أهمية بالغة عند كل من الفرزدق وجرير، حدث في ذلك اليوم (أي يوم الرومي أو يوم جبلة الذي أسر فيه حاجب كما مر) أن سيف ورقاء العسبي نباعن راس خالد بن جعفر فاعتذر الفرزدق في ذلك عن نفسه ولكنه قرن ذلك (تلك الضربة) بوالدي جرير:

فهل ضربة الرومي جاعلة لكم أبا عن كليب أوابا مثل دارم

كذلك سيوف الهند تنبو ظباتها ويقطعن احيأنا مناط التمائم

وتناول جرير هذه القصة من ناحية أخرى وسخر من الفرزدق أنه إن كلف نبو سيفه عن رأسه قيسا فلا يغني ذلك عنه شيئا، فذلك واقع لا ينكر أن القاء فضيحة نفسه على كواهل غيره لا يجديه أي نفع، فجميع القبائل تعلم أنكم معشر مجاشع لا تعرفون عن القتل والقتال شيا. إنكم أبناء قين تحسنون صنع الفؤوس وغيرها من الأشياء من الحديد فاصنعوها، كيف يليق بكم أن تقتحموا في الوغى، أو تبلوا في ساحة الحرب بلا، حسنا، هذه أحلام يقظة لكم لن تتحقق. يقول جرير متناولا هذاالمعنى:

اكلفت قيسا أن نبا سيف غالب وشاعت له أحدوثه في المواسم

بسيف أبي رغوان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

أبو رغوان لقب مجاشع، وابن ظالم هو الحارث بن ظالم المري من فتاك العرب، فتك بخالد بن جعفر وهو نازل على النعمان بن المنذر بن ماء السماء.[116]

ضربت به عند الأمام فارعشت يداك وقالوا: محدث غير صارم

ضربت به عرقوب ناب بصور ولا تضربون البيض تحت الغماغم

صور مكان المعاقرة بين غالب أبي الفرزدق وسحيم بن وثيل اليربوعي

عنيف يهز السيف قين مجاشع رفيق باخرات الفؤوس الكرازم

[116]. تاريخ النقائض، ص389

ومما يثير فينا دهشة واستعجابا أننا لا نرى الفرزدق ههنا يرد على ما سخر منه جرير في الأبيات الماضية. انه لم ينكر ذلك كله وانما اعتذر عن ذلك بأن عبسا منحت ورقاء بن زهير سيفا كان حده قد كل، وعلاه الصدا، حتى نبا عن رأس خصمه، فضحك عليه جرير لما وجه إليه من عذر ليس له من سلطان ولا دليل، وأشار على قومه أن يدعوا هزالسيف لأنهم لا يحسنون هزه أواستلاله، وترتعش أيديهم عند رفعه على رؤوس خصومهم، وذكره بما حدث قبل ذلك من وقائع ومعا قرات بين أفراد قبيلته وخصومهم، كما نصحهم ضاحكا مستهزئا بهم أن يصنعوا الفؤوس والمعاول والمحاريث فانهم يحسنون صنعها، ولا يفكروا في القتال والمحاربة شيئا.

ومن ثم يبتدئ ذكر الأيام الحروب التي نشبت قبيلتيهما وخصومهما، ومن الأيام التي ذكرها الفرزدق يفاخر بها: ذو نجب، والوتدات، والمروت، وملزق، وسوبان، وغول، والدفينة، والحشاك نسيها أو تناساها الفرزدق رغم انها يتجمل بها تاريخ دارم رهط الفرزدق، وزكر مكانها اياما لتميم أو ضبة (وهم اخواله) أو تغلب (وهم حلفاؤه) أو يربوع (وهم رهط جرير). هذا، وإذا لا حظنا نقيضة جرير رأينا انه يذكر فيها يوم سفوان، ويوم القوير، ويوم جبلة، ويوم الفروقين، ويوم الوقيط، ويوم رحرحان.

ومن الجدير بالذكر أننا نرى جرير يكثر الحديث عن الشجاعة كما قال:

نعد لأيام نعد، لمثلها، فوارس قيس دار عين وحسرا

كما أنه ذكر في موضع آخر فقال:

إنى لأفخر بالفوارس فافتخر بالأخبثين، شمائلا ونجارا

ولا يمكن رسم صورة جرير كاملا إلا نذكر عن الطبقة الاجتماعية التي كان جرير يعيش فيها و من الحقيقة أن الوضع الاجتماعي الذي نشأ فيه جرير له عكس في حياته وسبب إلى عدم التوازن فالعشيرة التي ينتسب إليها جرير كانت متواضعة، أذ كان عطية أبو جرير رقيق الحال، وقد عيره الفرزدق بأبيه حين قال:

لك الويل لاتقتل عطية، إنه أبوك ولكن غيره فتبدل

من الصورة الفنية لشعره أنه ذكر بعض أدوات الكتابة، وهذه الأدوات تدل على أنه لم يكن أميا على الرغم من بداوته، ومما يدل على ذلك قوله:

تقضي القضاة على تيم وإن رغمت، فأكتب قضاءك واطبع بالخواتيم

وقوله:

تحت المناطق أستاه مصلبة مثل الدوا مسها الأنقاس والليق

وكذلك ذكر في شعره بعض الحروف، وشبه بها آثار الديار، فكما يقول:

حي الديار كوحي الكاف والميم، ما حظك اليوم منها غير تسليم

وقوله:

عرفت الدار بعد بلي الخيام سقيت نجاء مرتجز ركام

كأن أخا اليهود يخط وحيا، بكاف، في منازلها ولام

ومن الممتع أن نرى أن جرير يلتقط الألفاظ من أشعار خصمه و يهجوه بها وينتقد انتقادا لاذعا، ففي الأبيات التالية إنه عمل على قلب معاني الأخطل ورماه وقومه بها، وقد قابل الهجاء بهجاء، بحيث ياخذ ألفاظ الأخطل، أو يقتبس شطرا من أحد أبياته، فيحول وجهة الهجاء ليصيبه بها فذا قال الأخطل:

والآكلون خبيث الزاد وحدهم والسائلون بظهر الغيب ماالخبر

قال جرير في بني تغلب:

الظاعنون على العمياء ان ظعنوا والسائلون بظهر الغيب ماالخبر

والآكلون خبيث الزاد وحدم والنازلون إذا واراهم الخمر

وقوله فيهم:

خابت بنو تغلب اذ ضل فارطهم حوض في المكارم، ان المجد يبتدر

كانت بنو تغلب لا يعل جدهم كالمهلكين بذي الأحقاف اذ دمروا

صبت عليهم عقيم لم تزل بهم حتى أصابهم بالحاصب القدر

تسر بلوا اللؤم خلقا من جلودهم ثم ارتدوا بثياب اللؤم واتزروا

ويمسك بعد ذلك بالأخطل من جهة دينية فيقول فيه وفي قومه:

رجس يكون إذا صلوا إذانهم قرع النواقيس لا يدرون ماالسور

وليربوع فرع يقال له "بنو غدانة" لما اطلع الأخطل عليهم سخر منهم، وشبههم بصغار الشياه المزنمة، ووصفهم بالذل، والبخل، والقذارة، ونساءهم بالرجس والدنس.

وما غدانة في شيئ مكانهم الحابسوا الشاء حتى يفضل السؤر

يتصلون بيربوع ورفدهم عند التفاخر مغمور و محتقر

واقسم المجد حقا لا يحالفهم حتى يحالف بطن الراحة الشعر

من كل مخضرة الانياب فغرها لحم الخنابيض يغلي فوقه السكر

الضاحكون إلى الخنزير شهوته يا قبحت تلك افواها إذاكشروا

أحياؤهم شر احياء والامة والأرض تلفظ موتاهم إذا قبروا

الباب الثالث

القضايا الاجتماعية في شعر جرير

الفصل الأول

القضايا الاجتماعية من الرؤية السياسية

الفصل الثاني

القضايا الاجتماعية من الرؤية الدينية

الفصل الثالث

القضايا الاجتماعية من الرؤية الأدبية

دراسة المجتع من الناحية السياسية

هذا أمر لا ينكر أن جرير تربع على أعلى طبقات الفحولة في الشعر الإسلامي، وكل من المتقدمين والمتأخرين يشهد بذلك، و هذا معروف أنه كان من الشعراء الذين إذا هجوا أحدا حطوا قدره و وضعوا منزلته، وإذا مدحوا أحدا رفعوا منزلته وكان جرير إذا هجاه أحدا فرد عليهم وأفحمهم ولاغرو أن مكانته بين شعراء الإسلام كمنزلة امرئ القيس والأعشى بين شعراء الجاهلية، ويكفي لرفع شأنه أنه صاحب الأبيات التي قال عنها القدامى أنها أفضل أبيات قيلت في الفخر والمديح والهجاء والنسيب. وندرس أشعاره أولا من الناحية السياسية.

كان جرير فى أول الأمر مع ابن الزبير ولكنه لم يكن عريقاً فى زبيريته وبعد أن تمّ القضاء على ابن الزبير خلص اللأمويين فمدحهم ومدح ولاتهم وأشاد بسياستهم و أوصل الخلافة بالدين وأن الدين لا يقوم بغير الخلافة وأشاد العلماء بإطار من التقوى والعمل الصالح وقرر أنهم على الحق وأن من يخالفهم من الشيع هم على الباطل فقال مادحاً عبدالملك:

لولا الخلافة والقرآن يقرأه ماقام للناس أحكام ولا جمع

أنت الأمين، أمين الله، لاسرِف فيما وليت، ولا هيابة ورع

أنت المبارك يهدى الله شيعته، إذا تفرّقت الأهواء والشيَع

فكل أمر على يمن أمرت به، فينا مطاع، ومما قلت مستمَع

يا آل مروان إن الله فضلكم فضلاً عظيماً على من دينه البدَع[117]

كذلك يقول وهو يؤيد المروانيين فيجعل الخلافة سربالاً يلبسه الله من يشاء وأن الأمويين أفضل الناس وأن لهم اصلاً عريقاً لا يماثله أصل أناس آخرين:

يكفى الخليفة أن الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم

من يعطه الله منكم يعط نافلة، ويحرم اليوم منكم فهو محروم

يا آل مروان ان الله فضلكم فضلا قديما، وفى المسعاة تقديم

[117]. شرح ديوان جرير، ص 388

قوم أبوهم ابوالعاص واورثهم جرثومه لا تساميها الجراثيم

قد فات بالغاية العليا، فاحرزها سام خروج إذا اصطك الاضاميم[118]

ويقول فى قصيدة أخرى أن الخليفة إمام عادل ولا يقوم الجهاد والدين إلا بأمير المؤمنين الإمام العادل وبسيف الحجاج:

لو لا أميرالمؤمنين، وأنه إمام وعدل، للبرية، فاصل

وبسط يد الحجاج بالسيف لم يكن سبيل جهاد واستُبيح الحلائل

خليفة عدل، ثبت الله ملكه على راسيات لم تزلها الزلازل

لقد جرّد الحجاج لحق سيفه لكم فاستقيموا لا يميلن مائل

واصبح كالبازى يقلب طرفه، على مربإ والطير منه دواخل[119]

كذلك خاض جرير فى غمار السياسة بحيث أن الوليد بن عبدالملك أراد فى آخر أيامه أن يحول الخلافة من أخيه سليمان إلى ولده عبد العزيز فأيّد الشاعر الخليفة وحض الناس على مبايعة عبد العزيز:

إلى عبدالعزيز سمت عيون الـ رعية، أن تُخُيرت الرعاء

إليه دعت دواعيه، إذا ما عماد الملك خرت والسماء

وقال اولو الحكومة من قريش علينا البيع اذ بلغ الغلاء

رأو عبدالعزيز ولىّ عهد وما ظلموا بذاك ولا أساءُوا[120]

كذلك ذكر جرير من الحوادث السياسية غدر بني مجاشع بإبن الزبير فيقول إنكم يا آل مجاشع غدرتم بإبن الزبير ولو كان بنو سعد مكافكم لنصروه نصراً مؤزراً ودافعوا عنه كل المدافعة:

ألم تر ان الله أخزى مجاشعا إذا ضم افواج الحجيج المعرف

ويبغض شر البيت آل مجاشع وحجابه والعابد المتطوّف

---

[118]. شرح ديوان جرير، ص 594

[119]. شرح ديوان جرير، ص 487

[120]. شرح ديوان جرير، ص 20

كان حديث الركب غدر مجاشع إذا انحدروا من نخلتين واوجفوا

ولو فى بنى سعد نزلت لما عصت عواند فى جوف الحوارى نزّف

فلست بواف بالزبير ورحله ولا أنت بالسيدان بالحق تنصف

وقال فى قصيدة أخرى وهو يذكر غدر بنى مجاشع وقتل قتيبة بن مسلم الباهلي:

وقالت قريش! ليت جار مجاشع دعا سبثاً او كان جار ابن خازم

ندافع عنكم كل يوم عظيمة وأنت قراحى بسيف الكواظم

أبا هل! ما أحببت قتل ابن سلم ولا ان تروعوا قومكم بالمظالم

أبا هل! قد اوفيتم من دمائكم إذا ما قتلتم رهط قيس بن عاصم

كذلك يمدح الخليفة هشاما و يعلن بحمايته ووفاته منه ويدعو له ويعترف بقوته:

رضينا بالخليفة حين كنا له تبعاً وكان لنا إماما

تباشرت البلاد ولكم بحكم أقام لنا الفرائض واستقاما

وريشى منكم هواى فيكم وأن كانت زيارتكم لماما

وُقيتَ الحتف من عرض المنايا ولقّيتَ التحية والسلاما[121]

وكثيراً ما يشبه الخلفاء والأمراء بالمهدي المنتظر مدِلاً بأنهم يقومون بإصلاح المجتمع و يلجا إليهم الناس عند الفزع ولانّ الله يعصمهم من الزلل:

إلى المهدى نفزع إن فزعنا و نستقى بعزته الغماما

وحبل الله تعصمكم قواه فلا تخشى لعروته انفصاما

ويقول فى سليمان بن عبدالملك:

سليمان المبارك قد علمتم هو المهدى قد وضح السبيل

أجرت من المظالم كل نفس وأديت الذى عهد الرسول

[121]. شرح ديوان جرير، ص 566

صفت لك بيعة بثبات عهد فوزن العدل أصبح لا يميل[122]

ويقول فى عمر بن عبدالعزيز:

أنت المبارك والمهدى سيرته عصى الهوى وتقوم الليل بالسوَرِ

أصبحت للمنبر المعمور مجسله زيناً وزين قباب الملك والحجر

كذلك يمدح عبدالملك فيحامي عن نظرية الأمويين ويدافع عن حقهم فى الخلافة وفى أثناء المدح يهاجم على خصم الخليفة هجوماً عنيفا ويصور فتنة عبدالله ابن الزبير ويذكر كيف قضى عليه الخليفة:

سأشكر إن رددت على ريشى وأثبت القوادم فى جناحى

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

وقوم قد سموت لهم فدانوا بدهم فى ململمة رواح

ابحث حمى تهامة بعد نجد وما شئى هميت بمستباح

دعوت الملحدين ابا خبيب جما حاهل شفيت من الحجاج

فقد وجدوا الخليفة هبرزياً ألفّ العيص ليس من النواحى

فما شجرات عيصك فى قريش بعشات الفروع ولا صواحى

راى الناس البصيرة فاستقاموا وبينت المراض من الصحاح

وكثيراً ما يعبّر عن ثورات العراق بأنها داء وأن الوالي الذى يرسله الخليفة لقمع ثورتهم خير دواء لذلك

وان فتن الشيطان أهل ضلالة لقوا منك حرباً حميها غير بارد

داويتهم و شفيتهم من فتنة عرّاء ذات دواخف واجاج

فكنت لمن لا يبرى الدين قلبه شفاء وخف المدهن المتناقل

عفاريت العراق شفيت منهم فاسوا خاضعين لك الرقابا

[122]. شرح ديوان جرير، ص 476

وقال:

إذا مرضت قلوبهم شفاهم نطا سيّ بدائهم طبيب

لقد كان داء بالعراق فما لقوا طبيبا شفى آدواءهم مثل خالد

قد اعتمد جرير فى تأييد نظرية الخلافة الأموية على المذاهب العقلية السائدة فى عصره فى عصره كقوله لعبد الملك!

الله طوّقك الخلافة والهدى والله ليس لما قضى تبديل

يشير إلى فكرة المهدى وإلى مذهب الجبرية فالله قد قضى لعبد الملك بالإمامة ولا رادّ لقضاء الله و قدره وشبية بهذا قوله فى يزيد بن عبدالملك:

زان المنابر واختالت بمنتجب مثبت بكتاب الله منصور

وقوله فى عمر بن عبدالعزيز:

نال الخلافة اذ كانت له قدراً كما آتى ربه موسىٰ علىٰ قدر

وقوله فى هشام بن عبدالملك:

إلى المهدى نفزع ان فزعنا و نستسقى بغرته انعماما

رضينا بالخليفة حين كنا له تبعا وكان لنا إماما

ومن قوله يعرض بخصومهم الضالين:

آل المهلّب فرّطوا فى دينهم وطغوا كما فعلت ثمود فباروا

دراسة المجتمع من الناحية الدينية

وإذا نظرنا إلى مدح الشعراء الأمويين بدا لنا أنهم يستخدمون الغلو و يصفون ممدوحم بما لا يعنيهم ولكن جريراً يمدح فيذكر تلك الصفات التى كانت تدل على الإسلامية ويرى الخليفة نعمة من نعم الله وأمانته وكلما يمدح ويذكر فضائل الممدوح فلا ينسى الله يقول فى مدح هشام بن عبدالملك:

الحمد لله الذى اعطاكم حسن الصنائع والدسائع والعلىٰ

وقال فى الحجاج

صبرت النفس يا بن ابى عَقيل محافظة فكيف ترى الثوابا

ولو لم يرض ربك لم ينزّل مع النصر، الملائكة الغضابا[123]

يقول الدكتور جميل سلطان

"نشهد عند جرير أثراً إسلامياً عميقاً يتناول الصور والمفردات ومن بدائه القول أن يكثر هذا الأثر و يتعدد فى شعره وهو من عرفت عفة ذيله وطهارة فان تقواه و تعلقه بأهداب الدين و نفرته من الفواحش وما إلى ذلك مما يرضى الله عزو جل لا بد أن يترك اثراً عميقاً فى شعره." [124]

فحينما يمدح الخلفاء والأمراء يخاطبهم بأمين الله وحارس شريعته وغير ذلك من الكلمات فمثلا يقول مشيرا إلى فرائض الخليفة:

قد طال قولى إذا ما قمت مبتهلا يارب أصلح قوام الدين والبشر

وقال فى مدح عمر بن عبدالعزيز:

فلن تزال لهذا الدين ما عمروا منكم عمارة تلك واضح الغرر

ويقول فى قصيدته "بيت المكارم"

مثبت بكتاب الله مجتهد فى طاعة الله تلقى أمره رشدا

أعطيت من جنة الفردوس مرتفقا من فز يومئذ فيها فقد خلدا

ويقول فى مدح مهاجرين بن عبدالله:

---

[123]. شرح ديوان جرير، ص 30

[124]. نوابغ الفكر العربي 19 جرير لمحمد أبراهيم جمعة، ص40

ترك العصاة أذلة فى دينه والمعتدين وكل لصّ مارد

مستبصر فيها على دين الهدى البشر بمنزله المقيم الخالد[125]

وكثيراً ما يفخر الشاعر بدين الإسلام بالنسبة للنصرانية فيذكر الرسول والكتاب والنبوة و يفاخر عليها فيقول وهو يخاطب الاخطل:

فينا المساجد والإمام ولا ترى فى دار تغلب مسجداً معموراً

ويقول ايضا:

إن الذى حرم المكارم تغلبا جعل النبوة والخلافة فينا[126]

ثم يعيّر الاخطل على عبادة الصليب والكفر بوحدة الإله الحقيقي، فيقول:

عبدوا الصليب وكذبوا بمحمد وبجبرئيل كذبوا و ميكالا

إن أميرالمؤمنين عمر بن عبدالعزيز أخرج الفرزدق من المدينة بسبب استهتاره و بذاءة كلامه فاستغل هذه الفرصة وقال:

أخزى الإله بنى قصيرة انهم لا يتقون من الحرام كوؤدا

وفيه قوله:

وأدعو إلاله وتدعوا الصليب وادعوا قريشا وانصارها

يقول:

لا تفخرن فان دين مجاشع دين المجوس تطوف حول دوار

إذا نظرنا إلى مدح الشعراء الأمويين بدالنا انهم يستخدمون الغلوّ و يصفون ممدوحم بما لا يعنيهم ولكن جريراً يمدح فيذكر تلك الصفات التى كانت تدل على إسلامية فهويرى الخليفة نعمة من نعم الله وامأنته وكلما يمدح ويذكر فضائل الممدوح فلا ينسى الله يقول فى مدح هشام بن عبدالملك:

الحمد لله الذى أعطاكم حسن الصنائع والدسائع والعلىٰ

وقال فى الحجاج

---

[125]. شرح ديوان جرير، ص 140

[126]. شرح ديوان جرير، ص 659

صبرت النفس يا بن ابى عقيل محافظة فكيف ترى الثوابا

ولو لم يرض ربك لم ينزل مع النصر الملائكة الغضابا

نذكر هنا بعض أنواع الشعر نرى فيها الملامح الإسلامية عند جرير

أ – في المديح:

لقد ظهر أثر الدين الإسلامي في موضوعات شعر جرير كلها، المديح والفخر والغزل، والنقائض والأهاجي، والرثاء.

ومن المعروف أن جرير كان مائلا إلى السياسة الأموية، فقد مدح خلفاء بني أمية، من هؤلاء: عبدالملك بن مروان، والوليد و سليمان، وهشام و يزيد أبناء عبدالملك، كما مدح الخليفة عمر بن عبدالعزيز، ومدح كذلك الحجاج، وهو أحد ولاة بني أمية المقربين لديهم.

ونذكر هنا بعض أشعار المديح له وكان في هذه الأشعار تأثير الإسلام عند جرير، من ذلك قوله في الحجاج:

دعا الحجاج مثل دعاء نوح فأسمع ذا المعارج فاستجابا

صبرت النفس يا ابن أبى عقيل محافظة فكيف ترى الثوابا

ولو لم يرض ربك لم ينزل مع النصر الملائكة الغضابا

إذا سعر الخليفة نار حرب رأى الحجاج أثقبها شهابا

ترى نصر الإمام عليك حقا إذا لبسوا بدينهم ارتيابا

وقالوا لن يجامعنا أمير أقام الحد واتبع الكتابا

كذلك نرى أنه مدح الحجاج فأكثر في مدحه، ووصفه بأوصاف إسلامية محمودة وذكر معها مسميات لم تعرف قبل الإسلام، من هذه المسميات والألفاظ التي مرت في الأبيات السابقة : "دعاء نوح" و "ذالمعارج" و "أسمع، فاستجاب"، و "دعا" و "صبرت النفس... فكيف ترى الثوابا"، و "لو لم يرض ربك"، "ينزل مع النصر الملائكة" إلى آخر أبياته التى مدح بها الحجاج، والمعاني والألفاظ الإسلامية فيها واضحة، وقال في الحجاج أيضا:

إذا أخذوا وكيدهم ضعيف بباب يمكرون فتحت بابا

إذا علقت حبالك حبل عاص رأى العاصي من الأجل اقترابا[127]

وقال يمدح الوليد بن عبدالملك:

الله أعطاكم من علمه بكم حكما وما بعد حكم الله تعقيب

أنت الخليفة للرحمن يعرفه أهل الزبور وفي التوارة مكتوب

كونوا كيوسف لما جاء أخوته واستعرفوا قال ما في اليوم تثريب

الله فضله والله وفقه توفيق يوسف إذ وصاه يعقوب

وجرير كان يعلم كيف يمكن إرضاء حكام بني أمية، فأن يطلق عليهم صفة تأييد الله تعالى لهم، وهذا يعزز موقفهم أمام الرعية.

يستند جرير هنا على قصص الأنبياء، وتحديداً قصة يوسف عليه الصلاة والسلام، حيث أفاد منها لتشابه بين القصة القرآنية من جهة، وبين الأبيات من جهة أخرى؛ حيث إنه قال الأبيات لأن الوليد يريد البيعة لإبنه عبد العزيز، فدعا سليمان إلى المبايعة فأبى، فأراد جرير أن يقول: إن الله فضله على غيره، ومنحه توفيقه و نصره، كما نصر يوسف من قبل، فنفذ وصية والده ونال تأييده.

وقال يمدح المهاجر بن عبدالله الكلابي:

لقد بعث المهاجر أهل عدل بعهد تطمئن به القلوب

فحكمك يا مهاجر حكم عدل ولو كره المنافق والمريب

وقال في المهاجر أيضا:

إن المهاجر حين يبسط كفه سبط البنان طويل عظم الساعد

ولقد حكمت فكان، حكمك مقنعا وخلقت زين منابر ومساجد

أعطاك ربي من جزيل عطائه حتى رضيت فطال رغم الحاسد

وفيه يقول، أيضا، من القصيدة نفسها:

ترك العصاة أذلة في دينه والمعتدين وكل لص مارد

مستبصر فيها على دين الهدى أبشر بمنزلة المقيم الخالد

[127]. شرح ديوان جرير، ص 24

أبلى ببرجمة المخوف بها الردى أيام محتسب البلاء مجاهد

ويعود فيمدح الحجاج، بوصفه الحامي عن حمى الدين وإخماده الفتن فيقول عنه:

من سد مطلع النفاق عليم أم من يصول كصولةالحجاج

أم من يغار على النساء حفيظة إذ لا يثقن بغيرة الأزواج

من الرشا وأراكم سبل الهدى واللص نكله عن الإدلاج

ولقد كسرت سنان كل منافق ولقد منعت حقائب الحجاج

كان متأثرا بالقصص القرآني في شعره، فقال في مرخمة بن مسلمة بن عبدالملك:

مسلم جرار الجيوش إلى العدى كما قاد أصحاب السفينة نوح

يمدح مسلمة فيقول: إن مسلمة يقود الجيوش الجراد والتي يكون دائما النصر لها على أعدائها، كما يقود نوح عليه السلام، سفينة ومن عليها إلى النجاة والنصر.

ويعود تارة أخرى فيمدح الحجاج بن يوسف فيقول:

رأى الحجاج عافية ونصرا على رغم المنافق والحسود

دعا أهل العراق دعاء هود وقد ضلوا ضلالة أهل هود

وظنوا في اللقاء لهم رواحا وكانوا يصعقون من الوعيد

كان جرير مولعا بمدح حجاج رغم أن الصالحين كانوا يتجنبون عنه، يدل على خلل في شخصية جرير ومن الممكن كان هكذا رغبة إلى الأموال والعطايا.

ويمدح هشام بن عبدالملك فيقول:

هشام الملك والحكم المصفى يطيب إذا نزلت به العصيد

وإن أهل الضلالة خالفوكم أصابهم كما لقيت ثمود

ويقول في بنى مروان:

فزاد اله ملككم تماما من الله الكرامة والمزيد

شققت من الفرات مباركات جواري قد بلغن كما تريد

وسخرت الجبال وكن خرسا يقطع في مناكبها الحديد

بها الزيتون في غلل ومالت عناقيد الكروم فهن سود

فتمت في الهنىء جنان دنيا فقال الحاسدون هي الخلود

يعضون الأنامل إن رأوها بساتينا يؤازرها الحصيد

ومن أزواج فاكهة ونخل يكون بحمله طلع نضيد

ويمدح أحد خلفاء بني مروان بقوله:

لاقوا بعوث أمير المؤمنين لهم كالريح إذ بعثت نحسا على عاد

فيهم ملائكة الرحمن ما لهم سوى التوكل والتسبيح من زاد

أنصار حق على بلق مسومة أمداد ربك كانوا خير أمداد

إنا حمدنا الذي يشفي خليفة من كل مبتدع في الدين صداد

وقال في القصيدة نفسها:

حتى أتتك ملوك الروم صاغرة مقرنين بأغلال وأصفاد

وقال مدحا:

الله أعطاك توفيقا وعافية فزاد ذو العرش في سلطانهم مددا

تعطي المئين فلا من ولا سرف والحرب تكفي إذا ما حميها وقدا

مثبت بكتاب الله مجتهد في طاعة الله تلقى أمرد رشدا

أعطيت من جنة الفردوس مرتفعا من فاز يومئذ فيها فقد خلدا

والمعاني والألفاظ الإسلامية واضحة التأثير في شعر المديح لدى جرير، ويظهر تأثير الدين الإسلامي في شعر المديح لدى جرير بقوله مادحاً خالد بن عبدالله القسري:

شفاهم برفق خالط الحلم والتقى وسيرة مهدي إلى الحق قاصد

فإن أميرالمؤمنين حباكم بمستبصر في الدين زين المساجد

وإنا لنرجو أن ترافق رفقة يكونون للفردوس أول وارد

وله من القصيدة ذاتها:

إذا جمع الأعداد أمر مكيدة لغدر كفاك الله أمر المكايد

وإن فتن الشيطان أهل ضلالة لقوا منك حربا حميها غير بارد

إذا كان أمن كان قلبك مؤمنا وإن كان خوف كنت أحكم **ذائد**

يسرك أيام المحصب ذكرهم وعند مقام الهوى ذات القلائد

ومن قوله في المديح:

لو لا الخليفة والقرآن يقرؤه ما قام للناس أحكام ولا جمع

أنت الأمين أمين الله لا سرف فيما وليت ولا هيابة ورع

أنت المبارك والمهدي سيرته إذا تفرقت الأهواء والشيع

ب – في الهجاء:

والآن نرى من المناسب أن ندرس التأثر الإسلامي في أشعار الهجاء عند جرير.

أما الهجاء عند جرير، فهناك عدد كبير من أبياته تأثر فيها بالدين الإسلامي، فهذا لا يعني أن الدين الإسلامي شجع على الهجاء، ولكن جريرا هجا خصومه، حيث إنه سلبهم منهم كل فضيلة إسلامية، ووصفهم بكل فجور وفاحشة نهى عنها الإسلام في القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية الشريفة. ومن مثل هذه الأبيات في الهجاء،

زار الفرزدق أهل الحجاز فلم يحظ فيهم ولم يحمد

وأخزيتت قومك عند الحطيم وبين البقيعين والغرقد

وجدنا الفرزدق بالموسمين خبيث المداخل والمشهد

نفاك الأغر ابن عبدالعزيز بحقك تنفى عن المسجد

وشبهت نفسك أشقى ثمود فقالوا ظللت ولم تهتد

وقد أجلوا حل العذاب ثلاث ليال إلى الموعد

ومن تأثره بالإسلام في هجائه، قوله في عباد والجحافي:

الله دمر عبادا وشيعته عادات ربك في أمثال عباد

من يهده الله يهتد لا مضل له ومن أضل فما يهديه من هادي

لاقوا بعوث أمير المؤمنين لهم كالريح إذ بعثت نحسا على عاد

ويقول في الفرزدق، وكان يهجوه، ووصفه بارتكاب كل محرم، بعيد عن كل إحسان فيقول:

ألا قبح الله الفرزدق كلما أهل مصل للصلاة واكبرا

فلا يقربن المروتين ولا الصفا ولا مسجد الله الحرام المطهرا

فإنك لو تعطي الفرزدق درهما على دين نصرانية لتنصرا

ومن قوله:

لاقت حجاف هوانا في حياتهم وما تقبل منهم روح أجساد

لما أضله الشيطان قال لهم أخلفتم عند أمر الله ميعادي

وقوله:

إذا ما قرب الشهداء يوما فما للتيم يومئذ شهيد

غشوا ناري فقلت: هوان تيم تصلوها فقد حمى الوقود

ويقول كذلك:

أبنو قفيرة يبتغون سقاطنا حشرت وجوه بني قفيرة سودا

أخزى الإله بني قفيرة إنهم لا يتقون من الحرام كؤودا

في هذه الأشعار نرى أنه هجا خصمه بأنه غير عفيف وهو مرتكب الفواحش و مستحق لإقامة الحد عليه.

كذلك هو يذكر بعض المعاني الإسلامية التي تدل على تأثر جرير باللغة الإسلامية فهو يذكر الموت و خروج روح الكافر، والحشر، والنار ذات الوقود والتقوى والحرام وغير ذلك.

ويقول هاجيا آل حنثر، وهم من بني طهية:

فهل لكم في حنثر آل حنثر ولما تصب تلك الصواعق حثرا

فإن ربيعا والمشيع فاعلما على موطن لم يدريا كيف قدرا

ألم أك ناراً يتقي الناس شرها وسما لأعداء العشيرة مقمرا

نرى هنا أنه صور في هجائه صور قرآنية حيث يذكر إصابة بالصواعق، وبأن عدوه عديم التقدير والفهم،

ومن تأثره بالمعاني الإسلامية قوله:

خابت بنو تغلب إذ ضل فارطهم حوض المكارم إن المجد مبتدر

وما رضيتم لأجساد تحرقهم في النار إذ حرقت أرواحهم سقر

و يعير الأخطل بأنه كافر و صفه بالرزائل والرشوة و أنه ضل عن طريق الحق وأدائه الدزية فيقول:

رشتك مجاشع سكرا بفلس فلا يهنيك رشوة من رشاكا

أليس الله فضل سعى قوم هداهم للصراط وما هداكا

تكفر بالدين إذا التقينا وأد إلى خليفتنا جزاكا

وله في الأخطل وبني تغلب كذلك:

إني جعلت، فلن أعافي تغلبا للظالمين عقوبة ونكالا

عبدوا الصليب وكذبوا بمحمد وبجبرئيل وكذبوا ميكالا

قبح الإله وجوه تغلب كلما شبح الحجيج وكبروا إهلالا

ومن ذلك قوله:

تبعوا الضلالة ناكبين عن الهدى والتغلبي عمى الفؤاد ضلول

يقضي الكتاب على الصليب وتغلب ولكل منزل آية تأويل

إن الخلافة والنبوة والهدى رغم لتغلب في الحياة، طويل

فأرقتم سبل النبوة فاخضعوا بجزا الخليفة والذليل ذليل

وهذا دليل واضح على تأثره بالدين الإسلامي من خلال هجائه، وأنه ابتكر شيئا جديدا في هجائه ألا وهو: الهجاء بالدين.

أما هجاء جرير للفرزدق، ففيه نرى بوضوح تأثره بمعاني الإسلام، حيث يعيره أنه خارج عن تعاليم هذا الدين الحنيف رغم كونه مسلم، ولأنه لا يلتزم بالإسلام في وأعماله وأفعاله، فيعيره جرير فيقول:

أتيت حدود الله مذ أنت يافع وشبت فما ينهاك شيب اللهازم

تتبع في الماخور كل مريبة ولست بأهل المحصنات الكرائم

رأيتك لا توفي لجار أجرته ولا مستعفاً عن لئام المطاعم

هو الرجس يا أهل المدينة فاحذروا مداخل رجس بالخبيثات عالم

لقد كان إخراج الفرزدق عنكم طهورا لما بين المصلى وواقم

تدليت تزنى من ثمانين قامة وقصرت عن باع العلى والمكارم

ج – في الفخر:

أما الفخر عند جرير، فهو في تأثره بالدين الإسلامي، سيفخر بأمور دينية ومناصب قدسية تخصه وقومه من ذلك قوله:

ألم تر قومي بالمدينة منهم ومن ينزل البطحاء عند المحصب

لنا فارطا حوض الرسول وحوضنا بعنمان والأشهاد ليس بغيب

يفخر بأمور دينية خالصة ومثلها قوله:

ومنا رسول الله حقا ولم يزل لنا بطن بطحاوي منى وقبائها

ومن فخره بالدين قوله:

ألسنا أكثر الثقلين رجلا ببطن منى و أعظمه قبابا

ويقول جرير من هذا الباب:

له حوض النبي وساقياه ومن ورث النبوة والكتابا

ومنا من يجيز حجيج جمع وإن خاطبت عزكم خطابا

يقول: إنهم الذين يتعهدون حوض النبي صلى الله عليه وسلم في مكة و يسقون الحجيج وقد ورثوا دين النبي وقرآنه.

ويتابع فخره بقومه قائلا: إن منا من يجيز جموع الحجاج، فيسقيهم و يرعاهم، ويقصد بذلك كرب بن صفوان الذي كان يجيز الناس من عرفات إلى مزدلفة.

ومن فخره بما لديه وقومه من صفات حث عليها الإسلام قوله:

فإنا أناس نحب الوفاء حذار الأحاديث في المشهد

ويقول:

فلو كان الخلوط لفضل قوم على قوم لكان لنا الخلود

ويقول:

سمت بك خير الوالدات فقابلت لليلة بدر كان ميقاتها قدرا

ويقول:

وإذا الحجيج إلى المشاعر أوجفوا فاسأل كنانة واسأل الأمصارا

فخره في الشعائر الإسلامية، الحج، والمشاعر، وليلة القدر وغيرها.

ويقول عن الشعائر كذلك مفتخرا بقومه:

هم الأخيار منسكة وهديا وفي الهيجا كأنهم الصقور

يفخر ببني رفاعة وهم من تميم، ويضيف قائلاً عنهم:

عن النكراء كلهم غبي و بالمعروف كلهم بصير

خلائق بعضهم فيها كبعض يؤم صغيرهم فيها الكبير

فيفخر بقومه، ذاكرا حسن خصالهم فهم يأمرون بالمعروف ويأتونه، وينهون عن المنكر ولا يفعلونه، ويتحلون بحسن الأخلاق والتواضع وهم في الكرامة سواء، لا فرق بين صغير وكبير.

و يفخر بقومه فيقول:

منابر ملك كلهما مضرية يصلي علينا من أعرناه منبرا

ويفتخر بصلته من الأنبياء فيقول:

أبونا أبو إسحق يجمع بيننا أب كان مهديا نبيا مطهرا

ومنا سليمان النبي الذي دعا فأعطى بنيانا وملكا مسخرا

وموسى وعيسى والذي خر ساجدا فانبت زراعا دمع عينيه أخضرا

ويعقوب منا زاده الله حكمه وكان ابن يعقوب امينا مصدرا

فيجمعنا والغر أبناء سارة أب لا نبالي بعده من تعذرا

أبونا خليل الله والله ربنا رضينا بما أعطى الإله وقدرا

يفخر هنا في الأبيات السابقة، بصلته بالأنبياء، ويعد هذه مفخرةعظيمة له ولقومه.

ويفخر بالنبوة والهداية والخلافة، وبنظام الشورى، الذي اختصت به أمة الإسلام، والذي يعد من أهم خصائص نظامها السياسي فيقول:

فينا الخلافة والنبوة والهدى وذووا المشورة كل يوم تشاور

ومما يفخر به من أمور دينية قوله:

لا تفخرن على قوم عرفت لهم نور الهدى وعرين العز ذي الخيس

قوم لهم خص إبراهيم دعوته إذ يرفع البيت سورا فوق تأسيس

نحن الذين ضربنا الناس عن عرض حتى استقاموا وهم أتباع ابليس

ومن فخره:

إذا قلن ليست للرجال أمانة وفينا فلم ننقض عهود الودائع

وله في الفخر:

أتعدل أحسابا كراما حماتها بأحسابكم إنى إلى الله راجع

وله في الفخر كذلك:

لنا الفضل في الدنيا وأنفك راغم ونحن لكم يوم القيامة أفضل

يتبين مما سبق أن جريرا تأثر بالدين الإسلامي في فخره، وذلك أنه فخر بمكانة قومه الدينية، والتي أهلتها أن تكون إمامة من سواها. ففخر بالحج، وشعائره، وأماكنه، وأن قومه هم الذين يسقون ويطعمون ويجيزون الحجيج.

وفخر بوفاء قومه، وتواضعهم، وحسن أخلاقهم والمنابر والملك.

كما فخر بانتمائه إلى عترة الأنبياء الطاهرة، وهذا يعد نادراً في الفخر.

د – في الغزل:

في الغزل، لا أثر عنده بالدين؛ لأن الدين لا يشجع على العشق الحرام، ولا الوصال المشبوه، وإنما جعل خير النساء أبعدهن عن الرجال، ولكن تأثر جرير بالدين في غزله هو تأثر باللفظ فقط.

ومن ذلك قوله:

فلولا حبها وإله موسى لو دعت الصبا والغانيات

و يلحظ أنه لم يتأثر من الدين، سوى باللفظ "وإله موسى" ومثله:

فإنك يا أمام ورب موسى أحب إلي من صلى و صاما

ويقول مخاطبا زوجه أم حزرة

ثقى بالله ليس له شريك ومن عند الخليفة بالنجاح

القارئ لهذا البيت لا يرى فيه غزلا صريحا، ولكن ادرج تحت باب الغزل، لموضوع قصيدته، وللأبيات سبقته.

ومن تأثره بالدين في غزله قوله:

قفا فاستخيرا الله أن تشحط النوى غداة جرى ظبي بحومل بارح

وأثر الألفاظ الإسلامية واضح من خلال الشطر الأول من البيچ.

يقول أيضا:

وقد عهدنا بها حورا منعمة لم تلق أعينها حزنا ولا رمدا

وقد ذكر جرير وصف الحور، والحور العين كثيراً في غزله فقال:

هل في الغواني لمن قتلن من قود أو من ديات لقتل الأعين الحور

ويقول واصفاً حبيبته:

حور العيون يمسنن غير جوادف هز الجنوب نواعم العيدان

وله في الغزل:

حصان لا المريب لها خدين ولا تفشي الحديث ولا ترود

وقلما يصف متغزل محبوبته بهذا الوصف.

ويقول:

يا ميّ ويحك أنجزي الموعودا وارعى بذاك أمانة وعهودا

وفي معنى البيت يقول:

أخالد عاد وعدكم خلابا ومنيت المواعد والكذابا

وفي المعني ذاته يقول:

وإذا وعدنك نائلا أخلفنه وإذا غنيت فهن عنك غوان

ويقول:

وكم من صديق واصل قد قطعنه وفتن من مستحكم الدين عابد

فإن التي يوم الحمامة قد صبا لها قلب تواب إلى الله ساجد

ويقول كذلك:

قد غير الحي بعد الحي إقفار كأنه مصحف يتلوه أحبار

وله في الغزل:

وأقرضت ليلى الود ثمت لم ترد لتجزي قرضا والقروض ودائع

ويقول في المحبوبة:

فهلا اتقيت الله إذ رعت محرما سرى ثم ألقى رحله فهو هاجع

ويقول:

تسقى امتياحاً ندى المسواك ريقتها كما تضمن ماء المزنة الرصف

تجري السواك على أغر كأنه برد تحدر من منون غمام

ويقول:

حييت دارك بالسلام تحية يوم السلي فما لها لم تنطق

وما مضى كله ذو معان إسلامية: (مستحكم الدين، العابد، الساجد، تواب إلى الله، مصحف يتلوه أحبار، القروض، التقوى، المسواك، والتحية بالسلام)

وعلى معنى البيت الأخير يقول جرير:

يا أم ناجية السلام عليكم قبل الرواح وقبل لوم العذل

مما يلحظ في أبيات جرير التي تأثر فيها بالإسلام، أنها لم تكن ذات صلة بالغزل، من حيث التأثير، لأنه لا يوجد غزل إسلامي، أو تشجيع من الإسلام على الغزل، وإنما كان تأثره بالمعنى والمصاحب للغزل في بيت جرير الغزلي، كالقسم أو طريقة السلام، أو ذكر اسم من أسماء الله الحسنى، أو أي معنى من المعانى الإسلامية التي ليست لها صله بالغزل.

هـ – في الرثاء:

في الرثاء يكون الشاعر أصدق عاطفة منه في فنون الشعر الأخرى، لما حل به من مصيبة الموت، وخاصة إذا كان الميت "المرثى" قريباً للشاعر، قال جرير يرثي زوجه:

لقد أقررت غيبتنا لواش وكنا لا نقر لك اغتيابا

عبر بلفظ الغيبة، وهي معلومات المعني في الإسلام، وحكمها الشرعي واضح للمسلم، وأراد جرير: أن حبيبته أصغت للواشي في غيابه، وصرمت ما بينهما من عهد.

يرثي زوجه، ويذكر جميل خصالها، حيث كانت لا تمشي بالنميمة، ويأمن الجار بوائقها، وأذى لسانها.

وفي المعني ذاته، يرثي زوجته في قصيدة أخرى يقول:

ولا تمشي اللئام لها بسر ولا تهدي لجارتها السبابا

ويقول من قصيدته "الجوساء" في رساء زوجه أم حزرة التي مطلعها:

لو لا الحياء لعادني استعبار ولزرت قبرك والحبيب بزار

يقول فيها:

فجزاك ربك في عشيرك نظرة وسقى صداك مجلجل مدرارا

ويقول في القصيدة ذاتها:

كأنت مكرمة العشير ولم يكن يخشى غوائل أم حرزة جار

ولقد أراك كسيت أجمل منظر ومع الجمال سكينة ووقار

والريح طيبة إذا استقبلتها والعرض لا دنس ولا خوار

وإذا سريت رأيت نارك نورت وجها أغر يزينه الإسفار

صلى الملائكة الذين تخيروا والصالحون عليك والأبرار

وعليك من صلوات ربك كلما نصب الحجيج ملبدين وغاروا

يرثي جرير زوجته أم حزرة، بأروع الخصال، والتي يتمنى كل رجل أن تتصف زوجته بها: تكرم زوجها، وتوقر جاراتها، فلا يجدن منها إلا الخير، كلها سكينة ووقار وهدوء فضلا عن الجمال، تحافظ على عرضها، ولم تدنسه، طيبة الريح والسمعة والأخلاق، مطمعة للضيوف، كريمة توقد نارها ليلاً للضيف، وهداية للمار.

ويدعو لها بالرحمة والمغفرة، وتتضح العاطمة الجياشة لديه في أبياته السابقة.

ويقول فيها:

كانت إذا هجر الحليل فراشها خزن الحديث وعفت الأسرار

ومنها:

دعت المصور دعوة مسموعة ومع الدعاء تضرع وحذار

عاذت بربك أن يكون قرينها قينا أحم لفسوه إعصار

يذكر الدعاء والتضرع، والدعوة المسموعة هي دعوة المظلوم لأنها ظلمت بزواجها من الفرزدق كما يقول عنه جرير، ودعوتها كانت أنها تحتمي بالله من هذا القرين الخبيث الريح.

و يرثي المرار بن عبدالرحمن:

لا تبعدن وكل حي هالك ولكل مصرع هالك مقدار

ويقول فيه:

صلى الإله عليك من ذي حفرة خلت الديار له فهن قفار

يتكرر عند جرير لفظ "صلى الإله" على الميت، والمقصود بالصلاة: الدعاء له بالرحمة والمغفرة.

وينعي عبد العزيز بن مروان فيقول:

فهد الأرض مصرعه فمادت رواسيها ونضبت البحور

وأظلمت البلاد عليه حزنا فقلت: أفارق البدر المنير

وكل بني الوليد أسر حزنا وكل القوم محتسب صبور

وكيف الصبر إذ نظروا إليه يرد على سقائفه الحفير

ذكر بعض الأمور التي وردت كآية من آيات الله، ومنها: فمادت رواسيها، ونضبت البحور، وأظلمت البلاد، لغياب البدر المنير، وذكر بعدها الصبر واحتساب المصيبة، ودفنه تحت الثرى.

ويقول في رثائه يزيد بن عبدالملك:

كانوا شهوداً فلم يدفع منيته عبدالعزيز ولا روح ولا عمر

يقول: إن أبناء الخليفة قد حضروا موت والدهم، ولكنهم لم يستطيعوا رد الموت عنه. ويرثي الخليفة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه، فيقول:

تنعى النعاة أمير المؤمنين لنا يا خير من حج بيت الله واعتمرا

ويرثي ابنه سوادة فيقول فى:

قالوا: نصيبك من أجر فقلت لهم: من للعرين إذا فارقت أشباني

يقول: إن الناس يعزونه بأن له عندالله تعالى الأجر والثواب فيجيبهم؛ من يحمي العرين إذا مات أسوده.

ويقول فيه:

إن الثوي بذي الزيتون فاحتسبي قد أسرع اليوم في عقلي وفي حالي

مما سبق يتبين أثر الإسلام في موضوعات شعر جرير، المديح والفخر، والهجاء، والنقائض، والغزل والرثا، ومنها نستطيع أن نفرق بين خصائص شعره عامة، وبين شعره الذي تأثر فيه بالإسلام.

وكثيراً ما فخر جرير بالأيام فقال مفتخراً بأيام قيس فى الجاهلية:

وما زال فى قيس فوارس مصدق حماه و حمالون ثقل المغارم

وقيس هم الفضل الذى نستعده لفضل المساعى وابتناء المكارم

انا ابن فروع المجد قيس وخندف بنوا لى عادياً، رفيع الدعائم

فان شئت من قيس ذرى متمنع وان شئت طودا خند فىَّ المخارم

سبو نسوة النعمان وابنى محرق وعمران قادوا عنوة بالخزائم

كانك لم تشهد لقيطا وحاجبا وعمرو بن عمرو اذ دعوا يالدرام

ويوم الصفا كنتم كنتم عبيداً لعامر وبالحزن اصبحتم عبيد اللهازم

كذلك فقد أثار تلك الأيام التى حدثت بين قيس وتغلب سنة 70ه فى أواخر خلافة عبدالملك وسخر من تغلب كثيرا وصوّر هزيمتهم تصويراً ساخراً فيه التشفى المرير بهم:

وطئت سنابك خيل قيس منكم قتلى مصرعة على الاعطان

هزوا السيوف فاشرعوها فيكم وذوا بلا يخطرن كالاشطان

فتركتهم جزر السباع وفلّكم يساقطون تساقط الحمنان

وقال فى يوم الرحوب:

لو لا الخليفة يا أخيطل مانجا أيام دجلة شلوُك الماكول

ترد الفوارس من سليم نسوة عجلا لهن على الرحوب عويل

رقصت بعاجنة الرحوب نساؤكم رقص الرئال وما لهن ذيول

اين الاراقم اذ تجر نساء هم يوم الرحوب محارب وسلول

قد كان فى جيف بدجلة حرقت أوفى الذين على الرحوب شغول

أهلكت قومك اذ حضت عليهم ثم أنتهيت وفى العدو ذهول[128]

[128]. شرح ديوان جرير، ص 528

وقال:

فمن مبلغ عفا تميما رسالة علانية والنفس نصح ضميرها

عطفت عليكم ودّ قيس فلم يكن لهم بدل آقيان ليلى و كيرها

كذلك يقول فى يوم ذى نجب ويصف طهّية بالغباء

لو فى طهية احلام لما اعترضوا دون الذى كنت ارميه و يرمينى

نحن اللذين لحقنا يوم ذى نجب والخيل ضابعة مثل الراحين

أمست طهية كالمجنون فى قرن وكان يمشى بطيئا غير مقرون

عندى طبيب وقد احمى مواسمه يكوى طهية من داء المجانين[129]

كذلك ذكر تلك الايام العنفية التى دارت بين تميم وبكر فى الجاهلية:

منا فوارس منعج و فوارس شدوا وثاق الحوفزان باودا

وابرن من بكر قبائل جمة ومن الاراقم قد ابرن جدودا[130]

كذلك يذكر الشاعر يوم الوقيط، يوم حدث فتال عنيف وأنتهى بأنتصار ربيعة:

أحسبت يومك بالوقيط كيومنا يوم الغبيط بقلة الاوحال

وقد فخر جرير بيوم النباج و ثيتل فيقول:

وخالى ابن الاشد سما بسعد فحازوا يوم ثيتل وهو سامى

وقد عيّر جرير غسان بهزيمتهم إمام بطام قا عملاً:

أُبليتم خوراً وفك عنائكم و عارى الاشاجع من بنى همام

وهناك من الأيام التى حدثت بين تغلب وبكر حرب بسوس وقد ذكرها جرير فى شعره معيّرا الاخطل قائلا:

قبح الاله سبال تغلب انها ضربت بكل مخفف خنان

---

[129]. شرح ديوان جرير، ص 669

[130]. شرح ديوان جرير، ص 190

وقد انهرمت تغلب مع كسرى فى يوم ذى قار إمام بكر وقد اشترك تميم تحت رئاسة بكر ولذلك فخر جرير بهذا اليوم فقال:

عمى رئيس الدهم يوم قراقر فكان لنا مر باعه ونوافله

كذلك ذكر جرير فى أشعاره يوم تياس وقد التقت هنا سعد سعد بن زيد مناة و عمرو بن تميم واقتتلوا قتالا شديدا وأنتصرت سعد فقال جرير:

فاوردهم مسلحتى تياس حظيظ بالرياسة والزعام

وسخر جرير مما كان بين عبس و سليم و عأمر من حروب طاحنة فقال:

لقد حظيت يوما سليم و عأمر وعبس شجر يد السيوف الصوارم

وعبس هم يوم الفروتين طرقوا بأسيافهم قدموس راس صلادم

أما وصف الطبيعة عند جرير فلم يتناوله إلا الصحراء والإبل والحصان والأرض التى عاش فوقها.

يقول الدكتور نعمان محمد آمين طه

"قد عشق جرير الوطن الذى تقلب فى تربه، وتربى فى احضانه ولذلك حنّ إليه وشعر بالوجد والحنين حينما اضطره الترحال إلى تركه و مغادرته إلى وطن الممدوح فهام بنجد قائلاً

احب ثرى نجد و بالغور حاجة فغار الهوى يا عبد قيس وانجدا

وقال في موضع آخر

قد طال حبك لو يساعدك الهوى نجداً، وأنت بنخلتين تهامى

سقى الله البشام وكل ارض من الغورين انبتت البشاما

كذلك يصور الإبل وهى تقطع المكان القفرخى شدة الحر وفى أشعة الشمس:

فكلفت النواعج كل يوم من الجوزاء يلتهب التهابا

يذيب غرور هن ولو تصلى حديد الاقولين به لذابا

ونضاح المقذّ ترى المطايا عشية رخمسهن له ذبابى

نعبن بجانبيه المشى نعبا خواضع وهو ينسلب انسلابا[131]

ويصف شدة الحر فيقول:

ويوم من الجوزاء مستوقد الحصى تكاد صياصى العين منه تصيّح

شديد اللظى حامى الوديقة ريحه أشد لظى من شمسه حين تمصح

بأغبر وهّاج السموم، ترى به دفوف المهارى والذفارى تنتح

نصبت لها وجهى وعنساً كانها من الجهد والاساد قرم ملوّح[132]

كذلك يصف سير النوق فيقول:

أن النوق التى رحلوا عليها كانت تطا الحصى باخفافها فى تلك الأراضى المقفرة.

إذا ضرحن حصا معزاء هاجرة حدت سوالفها فى لين اعضاد

تأتى القرىّ بايديها وارجلها كأنهن نعام القفرة النادى

ويصف ما اعتراها من الهزال فيقول:

وقد لحق الثماثل بعد بدن وقد أفنى عرائكها الوخود

نقيم لها النهار- إذا ادّلجنا ونسرى والقطا خرد هجود

إذا بلغوا المنازل لم تقيد وفى طول الكلال لها قيود

يقول إن مطاياه هزلق بعد أن كانت سمينة وهو يسر بها فيواصل كلال الليل بكلال النهار وإذا وصلت المطايا إلى منازلها فلا تربط لأن التعب أنهكها و أعجزها عن الحركة.

[131]. شرح ديوان جرير، ص 38

[132]. شرح ديوان جرير، ص 121

خاتمة البحث

الحمد لله الذي وفقني خير توفيق أن أكملت هذه الدراسة الوضيعة، فله الشكر والامتنان، وبعد فإنني استفدت منها كثيرا، و هي زادتنى علما ومعرفة عن مختلف الجوانب للحياة العربية و خاصة للعصر الأموي وتوفرت لي فرصة أن أعرف عن الأسباب التي أدت إلى أغراض الشعر التي معنها الإسلام.

و هذا الموضوع من أهم موضوعات للدراسة أن نرى القضايا الاجتماعية من خلال شعر الشاعر وخاصة القضايا الاجتماعية في العصر الأموي لأنه من الحقيقة أن هذا العصر سلك إلى كثير من الأمور الشعرية على مسلك الشعراء الجاهليين والتي نهى الإسلام عنها.فكما نعرف أن العصر الأموي امتداد للعصر السابق فى كثير من أموره الأدبية و مليىء بحركة ناشطة من الناحية السياسية و الاجتماعية والثقافية والاقتصادية لأن البلاد المفتوحة تدفقت على المسلمين بالأموال و من جراء ذلك نشأ جيل جديد و كثرت الجوارى والغلمان و شاعت مجالس اللهو واللعب ونشات ألوان من الأدب النثرى، وفى جانب آخر اشتد العصف السياسى اشتداداً قوياً سبب ذلك إلى تغذية الشعر وظهرت طبقة من الشعراء السياسيين كان من بينهم شاعرنا جرير وكان فى أول الأمر زبيرىّ الهوى إلا أنه لم يقل شعراً قط فى مدحه، يلقي حنا الفاخورى الضوء على سببه فيقول:

"إن هذه العصبية ما كانت لتوفر لجرير ما كان بحاجة إليه من المال فلم يجد بداً من التقريب إلى الأمويين" فتركه الشاعر واتصل بالخلفاء الأمويين وولاتهم وظل كذلك حتى وافاه الأجل".

ولاشك فيه أن الشاعر جريركان له دور بارز في إثراء الأدب العربي في العصر الأموي وكان من كبار شعر هذا العصر حتى بعض الأدباء يفضلونه على الشعراء الأمويين الآخرين، فكما ذكر أبو الفرج الأصفهاني أن عطاء بن مصعب قال! قلت لأبي مهدي الباهلي وكان من علماء العرب! أيهما أشعر جرير أم الفرزدق؟ فغضب ثم قال! جرير أشعر العرب كلها. ثم قال! لا يزال الشعراء موقوفين يوم القيامة حتى يجيىء جرير فيحكم بينهم.

وقال محمد ابن سلام الجمحي رأيت أعرابيا من بنى أسد أعجبنى ظرفه و روايته فقلت له! أيهما عندكم أشعر؟ قال بيوت الشعر أربعة! فخر و مدح وهجاء و نسيب وفى كلها غلب جرير قال فى الفخر:

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

المديح:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

الهجاء:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

النسيب:

إن العيون التى فى طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

ومن خلال دراسة شعر جرير عامة و شعر النقضائض خاصة بلغت إلى نتائج شتى:

أولا: خلال مطالعتي عرفت أن جرير فاق أقرانه في مجال النقيضة ووجدت أن شعر النقائض تشتمل على عناصر آتية:

الفخر بالقبيلة و الاعتزاز بالنفس و الهجاء القبلي و الهجاء الشخصي.

ثانيا: عرفت خلال دراسة الهجاء بين جرير والفرزدق أن قصيدة جرير أقصر من قصيدة الفرزدق لكونه يتناول فنونا أكثر من خصمه و نجد في نقائض جرير والفرزدق الاعتماد على أسلوب الهجاء الساخر في تقديم الصور والمعاني، و بلغ جرير في ذلك مبلغا عظيما.

ثالثا: أسلوب جرير رقيق غير فخم، وخاصة في النسيب والهجاء، ولذلك سار شعره أكثر مما سار لغيره.

رابعا: رأيت خلال الدراسة أن جرير يحتج بالدلائل القوية، والحقائق التاريخية، ويعتمد على خياله – ولو كان كذبا – ويتوسع في أفقه.

خامسا: في نقائض بين جرير والأخطل عرفنا أن أسلوب الأخطل محكم، رصين، جزل، جيد الصورة، منسق الفكرة، قويها، تتنوع عنده التشبيهات والأوصاف، موفق في اختيار الألفاظ كل التوفيق، بل الحق أنه ليس له مثيل في هذا المجال، بينما كان أسلوب جرير عاديا، يمتاز بجمال الطبع، ورقة الأسلوب وشدة التأثر.

سادسا: وجدنا أن الحياة الإسلامية أثرت في شعر كل منهما، اذ كانت الحكومة الأموية من قبيلة قريش، وقريش كما ذكرنا قبيلة النبوة، والأخطل شاعر هذه الحكومة، فلم يستطع أن يهجو جريرا من ناحية اتصاله بمضرية وإسلامه فضعف

جانب الهجاء في شعره، ولكن جريرا عد نفسه حرا لكون خصمه نصرانيا، كما أن العصبية القبيلية، والحروب بين قيس وتغلب، والاحزاب السياسية من العناصر التي ساعدت في إشعال نار المناقضة بينهما.

جملة القول أن الشعراء الأمويين وخاصة الشعراء الثلاث وهم جرير والفرزدق والأخطل لعبوا دورا بارزا في فن النقائض حتى أصبح شعر النقائض أكثر انتشارا من العصر الجاهلي وديوانهم وثيقة تاريخية لأيام العرب وأحسابها وصورة صادقة لحياة الأمويين.

المصادر والمراجع

(1) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق د-قصي الحسين، دار ومكتبة الهلال بيروت، الطبعة الأولى 2002م.

(2) أدب السياسة في العصر الأموي، د- محمد حوفي، الطبعة الرابعة دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة.

(3) تاريخ الأدب العربي ألفه بالألمانية كارل بركلمان وأشرف على الترجمة العربية د. محمود فهمي حجازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب1993م.

(4) تاريخ الأدب العربي، د. ريجيس بلاشير، ترجمة الدكتور إبراهيم الكيلاني دار الفكر دمشق، الطبعة الثانية 1984م.

(5) تاريخ الأدب العربي تأليف الدكتور عمر فروخ دار العلم للملايين بيروت، الطبعة السابعة يونيو 1997م.

(6) تاريخ الأدب العربي، العصر الأموي الدكتور قصي الحسين، دار ومكتبة الهلال بيروت،طبع عام 2002م.

(7) تاريخ الأدب العربي الدكتور شوقي ضيف دار المعارف بمصر.

(8) تاريخ الأدب العربي، الدكتور جوده الركابي الطبعة الجديدة 1954 م.

(9) التطور والتجديد في الشعر الأموي، الدكتور شوقي ضيف طبع بمطابع دارالمعارف.

(10) الجامع في تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، دار الجيل بيروت لبنان الطباعة مؤسسة خليفة للطباعة.

(11) جرير ونقائضه مع شعراء عصره، الدكتور عبد العزيز الكفراوي، دار نهضة مصر.

(12) جرير حياته وشعره، الدكتور نعمان محمد أمين طه، دار المعارف مصر 1968م.

(13) جرير للدكتور محمد حمود، دارالفكر اللبناني، الطبعة الأولى 1991م.

(14) الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء لابن قتيبة الطبعة الأولى رمضان 2000م.

(15) شرح ديوان جرير- تاج الدين شلق، دارالكتاب العربي الطبعة الأولى 1993م.

(16) طبقات فحول الشعراء، تاليف محمد بن سلام الجمحي قرأه و شرحه د. محمود محمد شاكر مطبعة المدني القاهرة.

(17) العمدة في محاسن الشعراء وأدابه ونقده تأليف أبي على الحسن ابن رشيق، قدم له وشرحه د. صلاح الدين الهواري، دار ومكتبة الهلال طبع عام 2002م.

(18) كتاب الأمالي للإمام الكبير اسماعيل بن القاسم القالي طبع على نفقة صاحب السمو العالم الجليل الشيخ على بن عبد الله حفظه الله، منشورات المكتب الإسلامي.

(19) الكامل للعلامة أبي العباس محمد بن يزيد المبرد النحوي،عنى بها الشيخ أحمد محمد، مطابع يوسف بيضون دارالفكر العربي الطبعة الأولى 1999م.

(20) قيم جديدة للأدب العربي، الدكتور عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي، دارالمعارف الطبعة الأولى.

(21) معجم الشعراء المخضرمين والأمويين، د. عزيزة فوال بابتي، دارصادر بيروت طبع عام 1998 الطبعة الأولى.

(22) الموشح لأبي عبد الله محمد بن عمران، سنة 384 تحقيق على محمد البجاوي 1965 مطبعة لجنة البيان العربي.

(23) المفصل في تاريخ الأدب العربي لأحمد الاسكندري، تعليق الدكتور حسان حلاق، دار إحياء العلوم بيروت 1994م.

(24) نقائض جرير والفرزدق تاليف انتوني اشلي بي وان، طبع في ليدن سنة 1905م.

(25) نقائض جرير والأخطل، أبوتمام دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2002م شرح وتحقيق د. محمد نبيل طريفي، مطبع دار صادر.

(26) تاريخ النقائض في الشعر العربي، تأليف أحمج الشايب، الطبعة الثانية 1954، مكتبة النهضة المصرية.

(27) الهجاء والهجاؤون في صدر الإسلام للدكتور محمد حسين، مكتبة الآداب 1938.

Al Qazaya Al Ijtamaiyyah fi sher-i- Jarir

Social issues in the poetry of Jarir

Dissertation submitted to Jawaharlal Nehru University
in partial fulfillment of the requirements
for the awards of the degree of

MASTER OF PHILOSOPHY

BY

SIFWATULLAH

Under the Supervision of

Dr. Md Qutbuddin

Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University

2016